**الكتاب:** هذي هي الوهابية
**المؤلف:** محمد جواد مغنية
**الجزء:**
**الوفاة:** ١٤٠٠
**المجموعة:** ردود علماء المسلمين على الوهابية والمخالفين
**تحقيق:**
**الطبعة:**
**سنة الطبع:**
**المطبعة:**
**الناشر:**
**ردمك:**
**ملاحظات:**

هذه هي الوهابية
تأليف
محمد جواد مغنية

هذه هي الوهابية
محمد جواد مغنية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين.

وبعد:

فإني ما فكرت آنا أن أبحث، وأنقب في كتب الوهابية، لأضع فيها كتابا خاصا كهذا، وما كنت لأستطيع، لو فكرت واردت وحاولت.. ذلك أن الإرادة، أو المعرفة، أو هما معا لا يثمران كتابا، بل ولا مقالا ما لم يتدخل عنصر ثالث بصورة فعالة – أقول هذا بالنسبة إلي – وهذا العنصر هو التجاوب بيني، وبين الموضوع، وبالأصح بيني وبين الكتابة في الموضوع.

ومتى حصل هذا التجاوب كتبت بسهولة ويسر – وربما كان هذا سر الانتاج السريع، وإلا كنت كالذي يعصر الرمال والتراب.. وما دمت لا أملك من أمر هذا التجاوب كثيرا

ولا قليلا فأنا – إذن – في جميع ما كتبت، وما سأكتب مسير لا مخير، حتى ولو توفرت في الإرادة والمعرفة، لأن النتيجة تتبع أضعف المقدمات.

وقد حصل هذا التجاوب تلقائيا بيني وبين الكتابة في هذه الموضوع بعد أن سافرت إلى الحجاز، وأديت المكتوبة، واجتمعت بعلماء الوهابية، ودار بيننا ما سجلته في فصل " مع علماء الوهابية " من هذه الصفحات.

وأول كتاب قرأته في هذا الموضوع هو كتاب " كش الارتياب في أتباع محمد عبد الوهاب " للمرحوم السيد محسن الأمين (١) وكنت طالبا في النجف الأشرف، وقد مضى على ذلك ٣٥ عاما، أو تزيد.. وارتاع الوهابيون يومذاك من هذا الكتاب، وضاقوا به ذرعا، لأن المؤلف رضوان الله عليه ناقشهم نقاشا علميا، ونازلهم بكتاب الله، وسنة نبيه، كما أرغمهم على تعديل موقفهم من شيعة الأحساء والقطيف بعد أن طلب أربعة عشر عالما وهابيا من الملك عبد العزيز أن يرغم هؤلاء الشيعة على اعتناق الوهابية، ومن أبى أخرجه من دياره، ونفاه إلى حيث يشاء السعودي الوهابي.

وبعد مضي أعوام طوال على قراءتي كتاب المرحوم

---

(١) أعاد نجله الفاضل الأستاذ السيد حسن طبع هذا الكتاب سنة ١٩٦٢، وأضاف إليه فصولا جديدة، وتعليقات نافعة مفيدة، حتى بلغت صفحاته ٤٠٠ بالقطع الكبير.

الأمين قرأت رسالة التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، ورسالة شروط الصلاة، ورسالة هذه أربع قواعد لمحمد عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية، وفي هذه السنة ١٣٨٣ ه. صحبت معي من مكة المكرمة كتاب مسائل الجاهلية لمحمد عبد الوهاب، وكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لحفيده عبد الرحمن، وكتاب تطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، وكتاب شرح الصدور بتحريم رفع القبور لمحمد بن علي الشوكاني، وكان الصنعاني والشوكاني معاصرين لمحمد عبد الوهاب، وقد أرشدني إلى هذه الكتب الشيخ سليمان بن عبيد رئيس قضاة مكة حين قلت له: سأضع كتابا في عقيدة الوهابية، وسألته عن أوثق مصادرهم:

وأهم ما يلفت النظر في هذه الكتب هو الحرص الشديد على تكفير أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم – غيرهم – حرصا بلغ حد الشهوة أو الانتقام، فمبدأهم الديني والاجتماعي والسياسي هو: " أما أن تكون وهابيا، وأما القتل لك، والنهب لأموالك والسبي لذراريك ".

وما على من يريد التثبت من قولي هذا إلا أن يقرأ في هذه الصفحات ما نقلته عنهم، وقد مهدت للقارئ، ويسرت له طريق مراجعة كتب العقائد عندهم، فذكرت اسم الكتاب، ورقم الصفحة، وسنة الطبع والإخراج.

ومن ألم بهذه الكتب الصحيحة المعتبرة الموثوقة عند كل وهابي لا يخامره الريب بأن الهدف النهائي للوهابية هو إبادة

المسلمين إبادة تامة – غيرهم – أو إبادة من يستطيعون إبادتهم، كمسلمي المملكة العربية السعودية من غير فرق بين السنة والشيعة، وأنه لا يروي عطشهم إلا هذه السياسة الجهنمية.. وما أوقفهم عن محاولة تنفيذ هذه السياسة إلا قوة المسلمين، ونقمة الرأي العام في الشرق والغرب، وقيام الثورات ضد الظلم والتحكم هنا وهناك، وإيمان الناس، كل الناس إلا الوهابية بالحرية في ممارسة الدين والتعبير عنه بكل أسلوب يريده المتدين.

ومن أجل هذه البواعث، وهذا الوعي الذي يقضي على كل من يتخطاه ويتجاهله مال الوهابيون إلى معاملة الحجاج باللين ستة فسنة، بعد تلك القسوة والجفوة، وإلى إلغاء الرق شيئا فشيئا.. لقد تأكدوا – ولله الحمد – أن الرق قد ذهب أوانه، وأن الظروف لا تساعد على التعصب والتحكم، ونحن بنارك هذه الخطوة، ونعتبرها هامة جدا في الأوساط الوهابية، سواء أتخطوها عن طواعية، أم عن كراهية، ونسأل الله سبحانه أن تتبعها خطوات إلى الأمام، حتى تعود الحرية إلى سابق عهدها في الحرمين الشريفين، وفي كل شبر يحكمه الوهابيون.

ومهما يكن، فإني تكلمت عن عقيدة الوهابية بما هي، وكما جاءت في مصادرها، بصرف النظر عن سياسة الوهابيين، ومعاملتهم مع الحجاج والزائرين.. أما الأسلوب الذي اعتمدته للرد على هذه العقيدة وتنفيذها فهو نقض أقوالهم وإلزامهم بالمحاذير

والمفاسد التي تترتب عليها.. وكنت ابحث وأنقب عن أقوالهم، وأقارن بعضهما ببعض، حتى إذا رأيتها متضاربة متناقضة أعلنت هذا التهافت، وألزمتهم به، لقد حرصت كل الحرص على أن تكون ملاحظاتي، وردودي أشبه بشباك حيكت من أقوالهم وآرائهم بالذات، لا خيط فيها إلا منهم ولهم.. ولم أهتم كثيرا بذكر الآيات والروايات، لأنها تكررت في أكثر من تصنيف من الردود على الوهابية. إشارة: منعت الحكومة السعودية من أراضيها كل كتاب يحمل اسمي، لا لشئ إلا لأني أقف لمن كاد ويكيد للإسلام والمسلمين، ويحقد على الرسول وأهل بيته صلى الله عليه وآله ويسعى جهده لبث السموم والأوباء في كل بلد توجد فيه رائحة البترول، أو مجاور لبئره ومصبه وممره، ليضمن لأسياده الأمن والأمان، وهم يمتصون دماء العرب والمسلمين.. كالجبهان والحفناوي ومحب الدين الخطيب، ومن إليهم، منعت الحكومة السعودية مؤلفاتي، ولا إشارة فيها لعقيدة الوهابية من قريب أو بعيد، فبالأحرى أن تمنع كتابي هذا، وتحرقه لو استطاعت.. ولا أشك أنها ستستأجر أعداء الفضيلة والعدل، وأنصار الرذيلة والظلم للسب والشتم.

ومهما فعلت، وحاولت أن تفعل فإن اليوم الذي ستشرق فيه شمس الحرية على أرض الحرمين الشريفين آت لا

محالة، تماما كما أشرقت على غيرها، وأن عهد مصادرة الكتب سيزول، كما زالت محاكم التفتيش التي كانت تحرق العلماء وكتبهم العلمية.
ولا أدري بأي شئ أفسر منع مؤلفاتي من السعودية، وكثير غيرها من كتب الهداية والرشاد، وإفساح المجال لكتب الخلافة والفساد التي تشجع الفحش والفجور، وتنشر الفسق والدعارة، وتسير بالنشئ إلى الحضيض؟..
زرت مكتبات مكة التجارية، ولم تفوتني واحدة منها – فيما أعتقد وقلبتها أو قلبت أكثرها ظهرا لبطن، كعادتي مع مكتبات لبنان، فلم أر كتابا
للشيعة يباع علانية إلا مجمع البيان، ومكارم الأخلاق للطبرسي " طبع مصر "..
ورأيت روايات الجنس العاري، حتى من " المايو " تغطي الواجهات، وتحتل الصدور من المكتبات التي تحيد بالكعبة الطاهرة المطهرة، بخاصة المكتبات المقابلة للمسعى وجها لوجه.
ولا جابه الوهابيين بهذه الحقيقة في الساعة الراهنة كتبت أسماء الكثير منها..
وهذا بعضها: نساء الليل.. شهر العسل.. امرأة من باريس.. الشريرة.. الخ، مع العلم بأني لا أعرف المحتوى والمضمون.. ولكني رأيت على الغلاف صورا لرجال يفترشون العاريات المثيرات، مع العناق والقبلات.. فما يخرج المحرم الطائف العاكف من الكعبة المشرفة المعظمة، حتى تواجهه هذه المنكرات،

وصور الفاحشات، والتي سمحت بها جماعة الأمر بالمعروف لأنها لا تنافي الدين والآداب.. أما اللمس والتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشرك وإلحاد.. هذا هو منطق الوهابيين، وهذي هي سيرتهم.. يطلقون الحرية للأفاعي تنفث السموم، حتى عند أبواب الكعبة، ويسدون نوافذ النور والهداية عن المسترشدين والتائهين.. ومن يدري؟.. لعلهم فسحوا المجال لهذه الروايات والخلاعات ليثبتوا أن المملكة العربية السعودية قد سبقت الشرق والغرب في مضمار التقدم والحضارة؟.. وبالمناسبة – ولا بأس أن أطيل عليك أيها القارئ على خلاف عادتي لأن تناقضات الوهابيين كالتسلسل لا آخر له – أقول بهذه المناسبة: أني دخلت ذات مساء إلى مكتبة بمكة المكرمة، فرأيت كتاب " معاوية بن أبي سفيان " لعمر أبو النصر يعرض فيها علنا، وما أن شرعت في الحفر والتنقيب عما أبتغيه من الكتب، تماما كما يحفر وينقب الغرب عن الذهب الأسود في السعودية، حتى وقع بصري على كتاب " الإمام علي " للأستاذ جورج جرداق، وكان صاحب المكتبة قد واره الأنظار.. وأردت أن أعرف مدى خوفه لو اكتشف الوهابيون جريمته هذه. فأخذت الكتاب بيدي – وهو لا يعرف من أنا – وقلت له مستنكرا: كيف تعرض هذا للبيع؟.. ألا تعلم أنه ممنوع؟.. وأشعرته بأسلوب خفي أني سأشي به إلى الشرطة.. فنظر إلي بذهول، وقال: " إيه إيه ما لو

علي ما لو علي؟ ". قلت: ما لو علي. ممنوع علي، ممنوع علي.. قال: " إيه بطال علي؟ بطال؟ "..
سلام الله عليك يا علي.. وأقسم بمن عظمك وكرمك أنك لو أحببت الباطل لكان كل كتاب يحمل اسمك العظيم يباع في المملكة السعودية علانية وجهرا، لا خفية وسرا، وبدون أن يخاف البائع والمشتري، تماما كما يباع كتاب معاوية ابن آكلة الأكباد.
والله سبحانه أن يعصمنا من النصب والمغالاة، وأن يزيدنا إيمانا به وبجلاله، وولاء بالنبي وآله، عليه وعليهم أزكى التحيات، وأفضل الصلوات.

من وحي الحج
الحمل الثقيل:
كنت أحس أن على ظهري حملا ثقيلا طوال السنوات الماضية التي استطعت فيها ماديا، لإداء فريضة الحج، لا أدري متى أتخفف منه، والحج – كما كنت أتصوره – عب ء شاق يحتاج إلى مبلغ من المال غير يسير، لا تطيب النفس عنه بسهولة.
كما أنه يستتبع الأتعاب والأوصاب لزحمة الناس، في بلد واحد، ومكان واحد، وزمان واحد، ويستنفد جهدا كبيرا قد لا تجود النفس ببذله، وتحمله، وفوق ذلك كله الخوف من الأخطاء والرياء، وأن يرد علي عملي، ولا يكون حجي مشكورا، ولا مدخورا ليوم الحساب.
هذا ما كنت أحسه، وأشعر به، وهو السبب الأول للتأخير والتقصير، أما اعتذاري وتعللي بأن حكام السعودية يمنعوني من الحج، أو يسيئون إلي في ديارهم، لما كنيته عنهم في الصحف، وفي بعض مؤلفاتي بعد قضية الجبهان،

أما هذا التعليل فقد تبين أنه وهم لا أساس له.. وربما كان منشأه الكسل والاهمال.
ومهما يكن، فقد شعرت بالرغبة الجدية في الحج هذا العام - ١٣٨٣ ه والعزم الأكيد على أدائه مهما كانت العواقب، حتى ولو نصبت لي الأعواد على
الحدود، وخسرت ما أملك من صحة ومال، أما سر هذه الرغبة، وهذا العزم فعلمه عند ربي، ومهما يكن، فإنه ليس من إرادتي واختياري في شئ، لأن الإرادة لا تعلل بالإرادة. إلى البيت العتيق
اقلعت الطائرة من مطار بيروت الساعة السابعة من مساء - ٤ - ٦٤ الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ٨٣ ه، ووصلت جدة حوالي التاسعة، وبت في أوتيل النهضة، وخرجت من جدة مساء اليوم التالي محرما بالنذر، قاصدا مكة المكرمة، ثم جددت الإحرام في الحديبية (١) وبلغت مكة قبيل الغروب، وبينها وبين جدة ٧٤ كيلو مترا، وكان اليوم يوم الخميس، وما اقتربت منها، حتى ذهلت عن نفسي، وحاضري ومستقبلي، وغمرني الشعور بالغبطة، لما وفق الله من تأدية ما فرضه في كتابه، وتسديد ما علي من حسابه، وانطلق

---

(١) الحديبية المكان الذي صدت فيه قريش الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول مكة المكرمة للعبادة، وتم الصلح بينه وبينهم، وسمي هذا الصلح باسم المكان.

لساني بالحمد والشكر على السكينة والتخفيف من ذاك الحمل والتكليف.. وقد تتهيأ الصحة لشخص، ويعوزه المال، وقد يوجد المال، وتعترضه مشكلة الصحة، وقد يوجدان معا، ويعوقه الكسل والاهمال، أما من توافرت له هذه جميعا فيحق له أن يفرح ويغتبط، وعليه أن يحمد ويشكر، وكل شئ كان لدي موفورا وميسورا: الصحة والمال والإقبال، فله الشكر والحمد. شعاب مكة:

وأول شئ سبق إلى ذهني، وأنا ألقي النظرة الأولى على مكة المكرمة هو القول المشهور: " أهل مكة أدرى بشعابها ". فأخذت أنظر يمنة ويسرة، أتبين هذه الشعاب، فرأيت بيوتا متراكمة متراصة في أرض منخفضة تشرف عليه، وتحيط بها جبال وتلال إحاطة السوار بالمعصم، وعلى هذه الجبال بيوت متواضعة، كما تبدو للناظر، وفي اليوم التالي طلبت من سائق التاكسي أن يذهب بي إليها، فقال: لا تصلها السيارات، وأصحاب البيوت فيها كلهم من الفقراء، لا يستطيعون أن يبنوا في الأحياء المنخفضة التي تحيط بالحرم الشريف. معنى العبادة:

دخلت البلد الأمين قبيل الغروب، وبعده قصدت

البيت العتيق، والمسجد الحرام، وكعبة المسلمين وقبلتهم، فرأيت الألوف بملابس الإحرام، مكشوفي الرؤوس، يطوفون ويصلون، ويرددون في تطوافهم: " يا كريم يا غفار " منصرفين إلى الله وحده، حتى عن أنفسهم وذويهم، متجهين إليه سبحانه بنفوس نقيه، وعاطفة تقية، وقلوب معبأة مهيأة إلى فضل الله ورضوانه.
وفجأة، ودون أية سابقة، انتابتني رعشة هزتني من الأعماق تجلي تأثيرها ووقعها في بكائي وتضرعي، وانقطاعي إليه سبحانه، وشعرت كأني أمام الله وجها لوجه، وأني في عالم كله نور وروح، وهذا هو معنى العبادة بروحها وجوهرها، أنها أولا وقبل شئ اليقين بالله، والإخلاص فيما ترجوه منه، والصدق في تضرعك له.
وقال قائل: إن العبادة ركوع وسجود، وسعي وطواف، وكفى.. وذهب آخر إلى أنها تفكير فلسفي. وزعم ثالث أنها رياضة ومكاشفة، والحق أنها قلب متطلع إلى رحمة الله، واثق بمغفرة الله.. وكل حاج يحمل هذا القلب المتطلع الواثق فيما أعتقد إلا من اتخذ الحج وسيلة للعوائد والفوائد العاجلة. وإن شككت في شئ فلن أشك بأن الله يقبل الجميع ما دام هو القصد والغاية، حتى الجاهل الذي لا يعرف مكان الدقة في الطواف، ولا يحسن انتقاء " الخرش البرش " من حصى الرمي..
سمعت امرأة تقول، وهي تشير إلى الكعبة: رحمتك

يا رب للناس كلهم.. أي وحقه أنه يرحم الناس، كل الناس الذين يقفون على بابه يرجون فضله وإحسانه. مع الطائفين العاكفين:
مكثت بمكة ١٩ يوما، وكنت أذهب مساء كل يوم إلى الحرم، ما عدا اليوم التاسع مع ذي الحجة، فإذا رأيت جماعة مقبلين على البيت للطواف خلطت بهم نفسي، وفعلت ما يفعلون، ورددت ما يقولون، وكنت أتقصد الاختلاط بالأفريقيين السود، لما لمسته فيهم من الصفاء والإخلاص وأحسسته معهم من التوجه والانقطاع. وقد طفت مرات، ولكن لم تهتز مشاعري للدرجة التي كانت تهتز، وأنا أطوف مع هؤلاء السود.
وذات مساء رأيت حزمة من اليمنيين قد تلاصقوا، وأخذ بعضهم بعضد بعض، واندفعوا كالسيل لا يلوون على شئ، فوضعت يدي بعنق الأخير منهم، فلم يلتفت إلي، وأخذت أطوف معهم، وأركض وأقفز. كما يركضون ويقفزون، وأردد معهم: " حج حج يا حاج حج ".
وقصدت المسعى في ذات يوم، فحسبت أن جبالا من البشرية تسير ذاهبة آيبة بين الصفا والمروة، وأن الأرض ترتفع بهم إلى أسماء، إلى جنة المأوى، وأن ملائكة الرحمة تتلقاهم بالبشر والترحاب تناديهم أن تلكم الجنة تعلمون أورثتموها بما كنتم.

الحجيج والضجيج:
أما ما نسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام من أنه قال: ما أكثر الضجيج، وأقل الحجيج، ما حج إلا أنا وناقتي، ورجل من البصرة، فإنه محل النظر والتأمل.
أولا: أنه لا يتفق مع دعائه في يوم عرفة، الذي جاء فيه: " اللهم وهذا يوم شرفته وكرمته وعظمته، نشرت فيه رحمتك، ومننت فيه بعفوك، وأجزلت فيه عطيتك، وتفضلت به على عبادك ء ".
وبديهة أن معنى انتشار الرحمة شمولها للجميع لا للرجل والناقة فقط لا غير..
وقال أيضا: " يا من عفوه أكثر من نقمته، ويا من رضاه أوفر من سخطه، ويا من تحمد إلى خلقه بحسن التجاوز ".
ثانيا: أي فرق بين هذا القول ما حج الخ، وبين قول الأعرابي: اللهم ارحمني، وارحم محمدا، ولا ترحم أحدا معنا "..
ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر عليه، وقال: يا هذا ضيقت واسعا.
ثالثا: فهمنا حج الإنسان، أما حج الناقة فم ندرك له معنى، وإن كان المراد أن ناقة الإمام حملت حاجا، فإن ناقة البصري كذلك، اللهم إلا أن يكون البصري حج ماشيا.
وعلى أية حال، فإن معنى الحديث، إن صح، أن الإمام والبصري ينالان ثواب الحج بالاستحقاق، أما غيرهما

فبالتفضل (١). ومهما يكن، فإن النتيجة واحدة، وهي شمول الرحمة للجميع، ولكن يبقى إشكال حج الناقة قائما. صور من الحج شاهدت في الحج صورا تركت في نفسي أعمق الأثر، ولا أشك أن ما فاتني منها أكثر وأبلغ في شكلها وموضوعها.. شاهدت رجلا طاعنا في السن، يهتز من قرنه إلى قدمه، واللعاب يسيل من فمه، والمخاط يتقاطر من أنفه، يقوده شاب، لم يبلغ الثلاثين، أو لم يتجاوزها، يطوف به حول البيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويخدمه بإخلاص، ويبذل الجهد لمرضاته وراحته. قلت للشاب: من أين؟ قال: من العراق. قلت: وهكذا من يكون؟. قال: أبي. قلت: وفقك الله. قال: الحمد لله الذي وفقني لإداء حقه، وأسعدني بخدمته.

وشاهدت آخر يحمل والدته على منكبيه، وقد تدلت رجلاها على صدوره، وهو ممسك بيديها، يطوف بها، ويسعى، وقد تبعته في الطواف والمسعى، وكنت أتصور، وأنا أنظر إليه، أنه يرى نفسه أسعد من كان ويكون في هذه اللحظات لأنه ضمن له مكانا عظيما في جنة الخلد

---

(١) اتفق علماء الكلام على أن العاصي يعاقب بالاستحقاق، واختلفوا: هل يثاب الطائع استحقاقا أو تفضلا؟.

بعد أن أدى للأمومة حقها، ووفى لها بعهدها، كما تصورت شعورها بالغبطة بهذا الولد البار الذي حقق لها أعز الأماني والأحلام.
شاهدت هاتين الصورتين، فتذكرت من يتخذ من عطف الأب والأم وسيلة للتنمر عليهما، ومجابهتهما بالإساءة والعقوق.
وفي مساء ١٢ ذي الحجة شاهدت في زاوية من زوايا البيت مجموعة من المصريين نساء ورجالا يصفقون بهدوء ويرددون الأناشيد بمدح الرسول وآله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم فرحون مستبشرون كأنهم في عرس، وإلى جانبهم رجل يصلي، وآخر يتلو القرآن، وثالث يتضرع ويبكي. فقلت بكى هذا خوفا من عقاب الله، وغنى هؤلاء وصفقوا أملا بثواب الله، والكل سواء في رحمته، ما دامت قلوب الجميع عامرة بالتدين والإيمان بجلاله وعظمته، وصلى الله على محمد وآله الذي قال: إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق. الحج وأتعابه: قال الفقهاء: إن التكليف مشتق من الكلفة، وهي المشقة.. إذن كل تكليف يستتبع نوعا من الأتعاب، وأشدها هي أتعاب الحج، اللهم إلا الصوم، بخاصة على من اعتاد التدخين وشرب الشاي.

وقد شعرت بالإعياء والعناء في عرفة والمشعر ومنى، ولكن أتعاب الحج أشبه بالآلام الشديدة التي تعانيها الأم حين الوضع، فسرعان ما تستحيل إلى لذة وسرور بعد أن ترى وليدها سالما، بل هذه الآلام بداية حبها له، وتعلقها به.. وهكذا الحاج ينسى جميع أتعابه وأوصابه، ويشعر بالغبطة والسعادة بعد أن يؤدي المناسك على وجهها ويشكر الله سبحانه لما هداه وأعانه على تأدية ما فرضه من طاعته، أوجبه من عبادته (١).

---

(١) كانت ليلتنا في المشعر الحرام ليلة البرد والزمهرير في صحراء جرداء، لا مأوى فيها: ولم يكن معي غطاء ولا وطاء، وأنا مكشوف الرأس، وعلى جسمي ملابس الإحرام، ينفذ الريح خلالها بسهولة ويسر، فأصابني رشح قوي لازمني مدة عشرين يوما.

فصل الخصومات
الإنفاق على المعيار:
إذا آمنت بفكرة، وأنها صواب مئة بالمئة، وعارضك معارض، وقال: بل هي خطأ مئة بالمئة، أو وقف منها موقف المشكك المتردد، فماذا تصنع؟. هل تصر على رأيك بدون حجة ودليل، ويصر هو على قوله كذلك؟. إذن، يبقى النزاع قائما، والمشكلة بدون حل، ما دام كل منكما يفقد قوة الإقناع، ولا ينحسم النزاع إلا بعد أن تتفقا على مبدأ ترجعان إليه يكون هو الحجة، والحكم الفصل.
مثلا – إذا قلت: إن علاج المصاب بذات الرئة هو الفصد، وقال آخر: إن الفصد يضر بصحته، ويعجل بوفاته، كان الحكم بينكما الطبيب المختص بهذا الداء، ومحال أن يقتنع أحدكما بقول الآخر، أو تلزمه الحجة إذا لم تتفقا مسبقا على وجود المعيار والمقياس الذي يميز الصواب من الخطأ. والحق من الباطل.

الأديان والأحزاب:
وهذا الذي قلناه عن الاختلاف بين الأفراد ينطبق على الأديان والأحزاب التي يختلف بعضها عن بعض، ويدعي أرباب كل منها أنهم على حق دون غيره، ولكن الجميع، حتى من لا يدين بدين، ولا ينتمي إلى حزب متفقون على أن كل ما فيه صلاح البشرية وتقدمها فهو خير، ومتفقون أيضا على أن السلم والعدل والحرية والعلم والتعاون هي الوسائل إلى هذا الصلاح والتقدم، وعليه، فكل دين أو حزب يدعو للسلم والتعاون، ويناصر العلم والعدل، ويضمن الحرية والمساواة فهو خير وأفضل من أي حزب، أو دين يثير الحروب، وبث البغضاء، ويناهض العلم والتقدم، ويدعم الجهل والظلم.
وتقول: إن كل دين، وكل حزب يزعم أهله أنه يدعو للصالحات والخيرات.
الجواب:
إن الدعوى بمفردها لا تقنع أحدا، فإذا سقط شخص في الانتخابات، ثم قال: نجحت فيها، فهل يصدق: أو يكون قوله هذا مدعاة للسخرية والاستهزاء؟.. ولا أعرف أحدا أجهل ممن يردد مع القائل: " كل يعزز دينه يا ليت شعري ما الصحيح؟. " أن الناس كل الناس متفقون على أن الحب أفضل من البغضاء، والتعاون أنفع من التنافس،

والسلم خير من الحرب، والعلم من الجهل.. وبديهة أن العالم يدرس الأديان والأحزاب، ويطلع على مبادئها وتعاليمها، ثم يقيسها بتلك المبادئ المتفق عليها، ويحكم بما تستدعيه من الحق أو الباطل، الهداية والضلال.. ولو صدق في الأديان قول من قال: " يا ليت شعري ما الصحيح؟ " لصدق في كل دعوى دينية كانت أو زمنية.. أن العالم كما قلت: يبحث ويحقق، تماما كما يفعل كل من يطلب معرفة الحق من معدنه، وإلا وجب أن لا تبحث عن شئ، وأن نقفل المعاهد والمختبرات والجامعات، ونكتفي بترديد " يا ليت شعري ما الصحيح؟. " وبالتالي، فإن دل هذا القول على شئ فإنما يدل على أن قائله أعدى أعداء الأديان، حتى ما كان منها حقا وصدقا. الرد إلى الله والرسول:

اتفق المسلمون جميعا على أن أي نزاع يقع بين الفئات أو الأفراد فعليهم أن يتحاكموا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه، لأن المفروض أن النزاع حصل فيما قال الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد أمر الله بالرد إليه وإلى رسوله في مثل هذه الحال: " فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول – النساء ٥٩ ".

ولكن كثيرا ما يحصل النزاع في تفسير آية تحتمل معنيين، أو أكثر، أو في صحة حديث، أو فيما يفهم منه.. ومن أمثلة الأول قوله تعالى في سورة الطلاق: " وأشهدوا ذوي

عدل منكم ". حيث فهم الشيعة من الآية الكريمة وجوب الإشهاد على الطلاق، وفهم السنة وجوبه على الزواج لا على الطلاق (١). وقوله تعالى: " ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث – الأعراف ١٥٦ " حيث اتفق الجميع على أن الخبائث محرمة، واختلفوا في بعض الأفراد والمصاديق، كأكل الدود والذباب والفأر والضفدع والسرطان، فقال مالك: يحل أكلها، لأنها ليست من الخبائث، وقالت بقية المذاهب: يحرم أكلها، لأنها من الخبائث.

ومن أمثلة الثاني اختلافهم فيما نسب إلى الرسول، وهو: " من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته " فقد ضعفه السيوطي والعقيلي وابن حجر وغيرهم، (اللآلئ المصنوعة للسيوطي ج ٢ ص ١١١ "..

واتفق السنة والشيعة على أن النبي قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه " ولكنهم اختلفوا في المراد من الولاية، فذهب السنة إلى أن المراد منها الحب والمودة، وقال الشيعة: بل الحكم والسلطان بقرينة السياق.

---

(١) قال الشيخ أبو زهرة في كتاب الأحوال الشخصية: لو كان لنا أن نختار المعمول به في مصر لاخترنا رأي الشيعة، وصوبه أستاذه الشيخ الخفيف. ومال إليه الدكتور محمد موسى في كتابه الأحوال الشخصية.

ما هو الحل؟
وهذا النوع كثير، وهو من أهم الأسباب لاختلاف المذاهب الإسلامية بين بعضها البعض، وبين علماء المذهب الواحد، ورغم أن هذا الخلاف يرجع في حقيقته ومعناه إلى الخلاف في أن الكتاب والسنة: هل تعرضا إلى هذه القضية المتنازع فيها، أولا؟.. ومع هذا النزاع لا يمكن الرجوع إلى أحدهما كما يبدو، لعدم الاتفاق على وجود نص قطعي لا مجال فيه للاجتهاد يفصل بين الطرفين، رغم ذلك كله فإن المرجع في هذا الخلاف هو الرسول الأعظم، حيث اتفق الجميع على أنه قال: " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ".
(الصحاح الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة). فكم عالم بحث وتحرى، وأدى به البحث إلى العلم بشئ تحتم عليه العمل بعمله، مصيبا كان أو مخطئا، ما دام غافلا عن خطأه، وليس لأحد أن ينهاه عن اتباع العلم، كيف؟ ومتى حصل له العلم بشئ لا يسعه إلا اتباع عمله، ومن خالفه فهو مذموم في الشرع والعقل.
أجل، لك أن تحاول إقناعه بالدليل والمنطق، فإن ظهر له الخطأ، وأيقن به، ومع ذلك أصر عليه كان معاندا للحق، مخالفا له عن عمد، واستحق الذم والعقاب، كما هو شأن الذين عاندوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما ظهرت جلية كالشمس:

" وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا – النمل ١٤ ".
وبكلمة أن كل من قامت عليه من الله الحجة القطعية المجمع عليها فليس له أن يخالفها، ويجتهد ضدها، لأن اجتهاده، والحال هذه يكون ردا على الله ورسوله، ولا تقوم هذه الحجة إلا إذا كانت كوضح النهار، بحيث لا يسوغ الاعتذار معها بالجهل، مما دام طريق العلم بها ميسرا وواضحا، لا غموض فيه، ولا التباس، وإذا لم تبلغ هذه المرتبة من الوضوح وكان للاجتهاد فيها مجال يكون معذورا لو خالف الواقع، على شريطة أن يعقد العزم على أنه إذا استبان الخطأ رجع عنه.. والعقل هو الحاكم بنفي المسؤولية عن المخطئ غير المقصر، والشرع يقر العقل في حكمة هذا من باب الإرشاد إلى الواقع، لا من باب الرفق والتسامح، لأن سير الإنسان بموجب فهمه شئ طبيعي، لا يستطيع التخلص منه، بل هو مصدر الحركة والحياة.
ومن هنا رأينا سيرة العقلاء في كل عصر ومصر على نفي المسؤولية عن المخطئ إذا حقق ودقق، سواء أكان فقيها، أم طبيبا، أم مهندسا، أم بناءا، وما إليه، لأن الإنسان، أي إنسان يعمل بما يعتقد أنه الحق، لا بما هو حق في علم الله..
وكذلك اتفقت جميع الشرائع السماوية والوضعية على أن مجرد المخالفة في الرأي لا تستتبع العقوبة والمسؤولية. والاختلاف في الرأي ملازم لطبائع البشر، وكثيرا

ما يكون سببا للتصفية والتمحيص، وتمييز الأصيل من الدخيل، والعارف من الزائف، ولكن هذه المخالفة تتسم بجريمة البدعة والضلالة عند الوهابيين حتى ولو كان من خالفهم أعلم العلماء، وأبر الأتقياء، لا لشئ إلا لأنه لم يترك ما يعتقد، ويتبع ما هم عليه، وإن اعتقد فساده وضلاله.

قال ابن تيمية في كتاب " نقض المنطق " ص ٧١ طبعة ١٩٥١، وهو إمام الوهابيين، والمعتمد الأول لمذهبهم، قال ما نصه بالحرف: " فإنهم – أي هو ومن قال بمقالته – أشد الناس نظرا وقياسا ورأيا، وأصدق الناس رؤيا وكشفا، أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين أن هؤلاء أحق بالصدق والعلم والإيمان والتحقيق ممن يخالفهم، وأن عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل والمبتدع، وأن الذي عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل والمبتدع، وأن الذي عندهم هو الحق المبين، وأن الجاهل بأمرهم والمخالف لهم هو الذي معه من الحشو ما معه، ومن الضلال كذلك ".

فالذي عندهم علم وإيمان وصدق وحق مبين، أما الذي عند غيرهم فجهل وكفر وكذب وبدعة وضلالة، ذلك أن ابن تيمية وقبيله معصومون عن الخطأ دون غيرهم رغم أنه هو لا يؤمن بعصمة إنسان.. وسأستشهد من كتبهم المعتبرة بكلام أدل وأوضح.

مع علماء الوهابية
اغتنمت فرصة وجودي بمكة والمدينة، لإداء فريضة الحج، وزيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واجتمعت بمن تسنى لي الاجتماع به من علماء الوهابية، ودار بيني وبينهم حوار ونقاش حول مفهوم الإسلام، وحقيقة الشرك، وحول التقارب بين المذاهب الإسلامية، ووضح خطة لوحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، على أن تطبق هذه الخطة بالتسامح، ونبذ التعصب، وعدم تكفير طائفة طائفة أخرى، وأن يكون الجامع المشترك هو كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله ".
فرأيت من بعضهم التشدد، والعزم على سد أية نافذة يهب منها نسيم التقريب والإخاء، ومن البعض الآخر التواضع والتسامح في كل الخلافات إلا الخلاف في تعمير القبور ورفع القباب عليها، فإن تبريره شرك عند الجميع بدون استثناء..
لمست هذا من أحاديثهم، وفي كتبهم، وتملكني اليأس، حتى ولو بذلت الجهود، وتعبأت جميع القوى.. إن مسألة التعمير عندهم ليست حقا لأحد من المسلمين أو غير المسلمين، حتى يطالبهم به، لأنه شرك

وكفر وإلحاد، وهذا هو الشئ الذي يجب أن يناقشوا فيه على أسسهم ومبادئهم..
وقد عقدنا فصلا خاصا بذلك. المحاكم الشرعية: كل محكمة في السعودية هي محكمة شرعية، وكل قاض هو شرعي، لأنهم لا يحكمون بالقوانين الوضعية، بل بالشريعة الإسلامية على مذهب الإمام ابن حنبل، وفي مكة المكرمة بناية مؤلفة من ثلاثة أدوار خاصة بالقضاة، وعددهم سبعة، وعليهم رئيس، تقدم إليه جميع الدعاوى، مهما كان نوعها، وهو يحيلها بدوره إلى واحد منهم، وينظر هو في دعاوى الزواج والطلاق القهري، كما يميز إليه الحكم البدائي، إذا لم يرض به المحكوم عليه، فيصدقه، أو يفسخه، وتسمية البناية التي تضم جميع القضاة المحكمة الشرعية الكبرى.

ذهبت إلى هذه المحكمة بدون دليل أو رفيق، وتنقلت من قاض لآخر، واستمعت إلى محاكمتين عند قاضيين، إحداهما بين امرأتين متجاورتين، قد تنازعتا على حد بينهما، والثانية بين رجل وزوجته، وما سألني أحد عن شئ، ولم يثر وجودي انتباه أحد، ثم دخلت إلى غرفة قاض ثالث، فرأيته جالسا خلف طاولته، وفي يده جريدة يقرأها. فقلت له: هل تجيبني على ما لدي من أسئلة؟. قال: سل الرئيس الشيخ سليمان بن عبيد. قلت: وأين

هو؟. قال: في الدور العلوي.
صعدت إلى هذا الدور، فرأيت غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الإيراني، وعدد من المقاعد، وفيها كتبة، وجماعة من أصحاب العلاقة، وفي صدر الغرفة يجلس رجل على كرسي، وأمامه طاولة، وهو متقدم في السن، وإلى جانبه كرسي ثانية، ويلبس كوفية حمراء، وثوب أبيض، فسألت عنه؟ فقيل: هذا هو الرئيس. سلمت، وجلست إلى جنبه خلف الطاولة، وكان يختم أوراقا مكتوبة بختمه دون أن يوقعها بإمضائه.
وبعد أن انتهى التفت إلي، وقبل إن يسألني قلت له: أنا حاج من لبنان، وقد سمعت إنكم بعد أن تستمعوا إلى المتخاصمين تنهالون بالضرب على المبطل. قال: وماذا رأيت؟. قلت: لا شئ من هذا. ثم أطلعني على الاستدعاءات والسجلات والدفاتر، فرأيت فيها الدقة والتنظيم.
فقلت له: ولكن المعروف أنكم تكفرون غيركم من أهل المذاهب الإسلامية، بخاصة الشيعة، وتزعمون أنهم يغالون في حب الإمام علي، وأخبرك بأني شيعي جعفري، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله الذي قال: يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، وأوالي عليا الذي قال: هلك في اثنان: مبغض قال، ومحب غال. أواليه لأنه من الذين عناهم الله جل شأنه بقوله: " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ". ولأنه بطل معركة

الإسلام في جميع المواقف الذي وقفها الرسول ضد الشرك، وأعداء الدين.
قال: ولكن لا بد من البعد عن الشرك.
قلت، هنا يكمن السر.. إنكم ترون المسلمين مشركين، وكيف يجتمع الشرك مع قول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟. وهل من الشرك أن أعتقد أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من الصلاة في بيتي؟.. وقبل إن أنهي كلامي قال: نعم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة في مسجدي بألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة فيه بألف صلاة في مسجدي.
قلت له: سبقتني.. إذن، أين الشرك؟.
قال: الشرك أن يعتقد المصلي بأن الفضل جاء من أجل صاحب القبر.
قلت: أولا: إن هذا الإعتقاد ليس بشرك، لأن معنى الشرك أن يدعو المشرك مع الله إله آخر، وهذا شئ، والاعتقاد بأن هذه البقعة اكتسبت شرفا ممن دفن فيها شئ آخر.
ثانيا: أي فضل للأرض من حيث القداسة لولا صاحب القبر، إن أجزاء الأرض بكاملها سواء من هذه الجهة، ولا فضل لبقعة على أخرى إلا بمن حل فيها.. لذا قيل: المكان بالمكين، وكل إنسان يقدس بفطرته التربة التي تضم رفاة العظماء والصلحاء، والآباء والأجداد.

قال: بارك الله فيك، يا ليت كل الشيعة مثلك. قلت: ومن تعرف من الشيعة؟. وماذا قرأت لهم؟. اقرأوا كتبهم، وافهموهم جيدا، ثم احكموا عليهم بما تستوحون، وتفهمون، وليس من شأن العالم أن يلقي القول جزافا، هذا، إلى أن قوة الإسلام والمسلمين تقوم على أساس التسامح والتقارب، والمحبة والأخاء، لا على الشحناء والبغضاء، ونحن لا نناوئ أحدا، ولا نريد أن يناوئنا أحد.. فهز رأسه علامة القبول والاستحسان.

وقلت له: ما الشرط لتعيين القاضي عندكم؟

قال: أن يحمل شهادة من كلية الشريعة بمكة، أو الرياض، أو من الأزهر، وأن تثبت كفاءته بعد أن يتمرن سنتين عند أحد القضاة.

قلت: وما تحمل أنت من الشهادات.

فابتسم، وقال: لا شئ، أني درست على الشيوخ عندنا. قلت: سأضع كتابا في عقيدة الوهابية. قال: يجب أن تعتمد المصادر المعتبرة عندنا. قلت: أجل، وهذا شرطي إذا أردتم الكلام عنا. وما هي المصادر المعتبرة؟ فأسمى لي عددا من الكتب، بعضها موجود في مكتبتي، والبعض الآخر اشتريته من مكتبات مكة.

وسألته عن المصادر التي يعتمدونها في أحكامهم؟. قال كتب الفقه الحنبلي.

قلت: ما هو الكتاب المفضل منها؟. قال المغني لابن قدامة. وأخذ يثني عليه، ويطنب.

وقد اقتنيت هذا الكتاب منذ ١٦ سنة، وهو ١٢ مجلدا.
قلت: إن صاحب المغني يقول: إذا وطأ الزوج زوجته، ثم وطأها أجنبي بشبهة، وأمكن إلحاقه بهما يعرض الولد على القافة، فإن ألحقه بالأول لحق به، وإن ألحقه بالثاني لحق به، وإن ألحقه بهما معا لحق بهما معا (١).
وكل الناس يعلمون أن الشخص الواحد يكون له أكثر من ابن، أما أن يكون له أكثر من أب فغريب.
قال من الممكن أن يختلط الماءان، ويتولد الجنين منهما. قلت: الجنين لا يتولد إلا من بويضة واحدة، وهي لن تكون إلا من رجل واحد.. فسكت، فودعته، وانصرفت.
وإذا اختلف تفكيرنا عن تفكير الوهابية، وبعدت الشقة ما بيننا فإن هذا لا يمنعني من قول الحق، وتسجيل ما شاهدت من أن الناس وأرباب الحاجات تراجع الكبار منهم وغير الكبار بملئ حريتهم، وأنه لا شئ أهون من الوصول إليهم، والحديث معهم، ومناقشتهم، وهم يصغون للصغير قبل الكبير بصدر رحب، وخلق عربي، تماما كعلماء الدين الأول في قرى جبل عامل الذين يحرصون كل الحرص على حياة البساطة، والبعد عن الأبهة.

---

(١) المغني: ٧ / ٤٨٣ و ٤٨٤.

كلية الشريعة:
وفي صباح اليوم التالي ركبت التاكسي إلى كلية الشريعة، وهي بناية جديدة ضخمة، وهندستها حديثة، وموقعها يتناسب في سعته وطبيعته مع الكليات والجامعات، ومما يزيدها عظمة أنها في مكة المكرمة قبلة المسلمين..
صعدت الدور العلوي الأول، وتنقلت فيها من جناح إلى جناح، فلم أر أحدا لا أستاذا، ولا طالبا، ولا فراشا لمناسبة عيد الأضحى، وأخيرا رأيت غرفة مفتوحة، وعلى بابها قطعة من النحاس الأصفر، كتب عليها " العميد " فدخلت، وإذا برجل يجلس وراء الطاولة، يرتدي السترة والبنطلون، سلمت، وقلت له: حضرتك العميد؟.
قال: نعم.
قلت: والاسم الكريم؟
قال: أحمد علي أسد الله.
قلت: أنا لبناني، قصدت الحرم الشريف، لأداء الفريضة، وسمعت بكليتكم هذه، فأحببت التعرف عليها وعلى عميدها، فهل تفيدوني عن عدد تلاميذها، وعن المواد التي تدرس فيها؟.
قال: أما التلاميذ فعددهم يقرب من ال ٢٠٠، أما المواد فهي اللغة العربية، والتوحيد والفقه.
قلت: ولأي شئ يتأهل خريجيها؟.

قال: للتدريس في المدارس الثانوية، والقضاء.
قلت: كانت المدارس من قبل، بخاصة الدينية منها أشبه بالزوايا، وتكيات الدراويش، وهذا البناء الضخم يتفق تماما في مظهره وفنه مع العصر الحديث وحضارته، فأسأل الله أن يكون التعليم بروحه وأهدافه كذلك، وأن يبرز الشريعة الإسلامية بأسلوب يحببها إلى الجميع، وأن تجنب التلاميذ روح التعصب والبغضاء بين المسلمين، ولا يكفر بعد اليوم بعضهم بعضا، فإنهم أحوج الناس إلى الألفة والتقارب، وأظن أنكم تعلمون - الخطاب للعميد - أن النجديين معروفون عند الناس بالتشدد والتعصب، لأنهم يسيئون معاملة الحجاج الذين لا يدينون بالوهابية. ففهم ما أردت، وقال: الحق إن التعصب موجود، ولكن لا من طرف واحد، بل من الجميع، وقد خفت حدثه كثيرا عن ذي قبل - مثلا - كان النجدي إذا رأى في الكعبة حليق الذقن ينتهره، ويصيح به، وربما أخرجه منها، أما اليوم فيدعه وشأنه، ومع ذلك فإن بعض الحجاج يجسمون الأمور أكثر من حقيقتها، ويوقعونا في مشاكل تافهة، يمكن تحملها والإغضاء عنها، لو حسنت النية، من ذلك أن رجلا من الجزائر جاء معتمرا في شهر رمضان من هذه السنة، وصادف، وهو واقف في حجر إسماعيل أن شخصا أراد أن يسجد، فلم ير موضعا لشدة الزحام، فنحى رجل الجزائري بيده، وهنا ثارت ثورة الجزائري،

وظن أن الشخص وهابي، وهو ليس وهابيا، وصاح بأعلى صوته لقد أهنتم الإسلام ونبي الإسلام، وهدمتم قبور أهل بيته، وفعلتم الأفاعيل، واجتمعت عليه الجموع، وهو ينادي ويصيح بالشتم والسباب، وأخذت مسألته دورا كبيرا، واضطررنا أن نقف مع الجزائري، ومع ذلك بلغت الحال حدها الأقصى من التضخيم والتجسيم.

قلت: إن الله جل وعز أراد الدين من الناس اختيارا لا إكراها، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، كما اتخذ من ألسنتهم أقلاما تعبر عن الحق، وبالأمس كان الحجاج يشكون من تعصب الوهابية وسوء معاملتهم، واليوم خفت الشكوى، ونرجو أن تزول كلية. وأولى بكليتكم هذه أن تسير في طريق التعقل والتسامح، وتثور على التعصب البغيض وتتجه إلى العمل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتتطلع على كتب الجميع وتنشر الحقائق، وإذا كانت الكلية تعلم الفقه فإن الفقه الإسلامي لا ينحصر بالمذاهب الأربعة، بل يعم فقه المذاهب بكاملها، وفضل الشريعة إنما يظهر في أقوال المذاهب مجتمعة، لا في قول مذهب دون مذهب، كما أن حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينحصر بأحاديث الصحاح الستة، بل يشمل كل حديث ثبت عنه، سواء أكان في الصحاح أم لم يكن.

فوعد بأن يعمل لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وقد اكتشفت من أسلوبه وأفكاره أنه عارف ومتزن.

الشؤون الدينية:
وأثناء عودتي من كلية الشريعة مر السائق بحي يدعى محلة الزاهر، وهو من الأحياء الحديثة بشوارعه، وبناياته، وأشجاره، وحدائقه، ورأيت في هذا الحي بوابة كبيرة فوقها لوحة كتب عليها بالخط الكبير " إدارة التفتيش الديني "، فطلبت إلى السائق أن يقف أمام البوابة، وينتظر، وكانت البوابة مفتوحة، ولما دخلت رأيت حديقة منسقة على الطراز الحديث، يحيط بها سور بعلو قامة الرجل، وبناية كبيرة من طابق أرضي، وبابها مفتوح، فدخلت دون أن أطرق الباب، وإذا بدار واسعة، وفيها غرف مفتحة الأبواب، نظرت في غرفة على يمين الداخل، فلم أر أحدا، فتركتها إلى الثانية، وفيها رجل واحد، وما أن رآني، حتى قال: هناك هناك وأشار إلى غرفة على اليسار.
دخلت هذه الغرفة، وإذا بأربعة رجال، أو خمسة، وبعد أن سلمت، واستقر بي الجلوس قلت: أنا لبناني، وقد أتيت للحج، وأرغب في التعرف على الهيئات الدينية، وأعمالها، فماذا تعنون بالتفتيش الديني؟. وهل تبحثون عن دين الإنسان، وماذا يعتقد، فتقومونه إن كان اعتقاده معوجا؟.
قال أحدهم، وهو المدير العام، واسمه الشيخ محمد بن عبد الله آل الشيخ، وأخوه وزير المعارف، قال: كلا، بل نربي النش ء في المدارس على عقيدة الإسلام وأخلاقه،

وننظر الكتب التي تدرس هذه المادة، ونشرف على سير أساتذتها ونشاطهم.
قلت: هذا حسن، ولكن المهم هو الأسلوب، وصواب الفكرة، وإبراز الدين بصورة تسير مع الحياة، حتى يرغب فيه الصغير والكبير، ولا شئ يقف في طريق الغاية المنشودة من الدين كالتعصب، فأرجو أن لا تذهلوا عن هذه الحقيقة، وقبل أن أنهي حديثي التفت أحد الحضور، واسمه الشيخ علي معجل، وهو مفتش في هذه الإدارة، التفت إلى المدير، وطلب إليه أن يدع له الجواب، كأنه يريد النزال والقتال، ويسأل رئيسه الأذن بالمبارزة، وقال لي: ماذا تعني بالتعصب؟.
قلت: إن المسلمين أخوان على دين واحد والاختلافات التي بينهم ليست جوهرية، وقد عنيت بترك التعصب أن لا تكفر أنت ولا غيرك من نطق وآمن بكلمة التوحيد، كما هو المعروف والمشهور عن الوهابيين أنهم يكفرون غيرهم، لا لشئ إلا لأنه غير وهابي.
قال: ولكن يجب على المسلم أن يؤمن بكلمة التوحيد بحقها.
قلت: حقها معروف، وهو الإيمان بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، والأركان هي الصوم ولصلاة، والحج والزكاة، وكل المسلمين يصومون ويصلون، ويحجون ويزكون.

قال: هناك شئ آخر.
فأومأ إليه المدير بالسكوت، فسكت، وتمنيت لو تركه في حديثه، لا عرف ماذا يريد من الشئ الآخر؟. وأعرفه مكانه من العلم والمنطق.. وأظن أنه قصد بالشئ الآخر تعمير القبور وزيارتها والصلاة عندها.. ومهما يكن، فسيأتي الحديث عنها مفصلا. ثم قام المدير من مكانه، وجلس إلى جانبي، وقال بالحرف، وبكل تواضع: إن ما تقوله هو الحق، أجل، نحن أخوان، ويشهد الله أننا نكره التعصب والمتعصبين، ولكن الدعايات هي التي تلفق وتختلق.. ثم قال لي المدير: نحن بخدمتك،
وخدمة كل حاج معك، مرنا بما شئت. قلت: شكرا، لا شئ سوى التعرف بكم.. وما رأيت أحدا في مكة المكرمة بخلقه وتواضعه، لذا نظرت إليه مستغربا، وقلت: من أين أنت؟ قلت هذا، وأنا علم أنه نجدي وهابي. فضحك بملئ فمه، وقال: أنا نجدي وهابي متعصب. وحين أردت الخروج عرض علي أن يوصلني بسيارته إلى حيث أريد، فشكرته، وقلت: معي سيارة، فرافقني، حتى ركبت، وحين الوداع سألني عن اسمي وعنواني الكامل؟ قلت: وما يعنيك من أمري؟ قال: أنا اصطاف بلبنان، وعزمي على زيارتكم.
قلت: إذن، أخسر فنجان قهوة، ولست مستعدا لذلك.

قال: أجل، ومعه فنجان شاي أيضا.
قلت: هذا ادعي إلى الكتمان.. ثم سألني أين أقصد؟. قلت إلى الشيخ عبد الله خياط، وهو مستشار في وزارة المعارف، وإمام الجماعة والجمعة وخطيبها في الحرم المكي الشريف.
قال لي المدير: إياك أن تقول له: أنا جعفري. قلت: أترك الأمر للمقتضيات والمناسبات، ثم ودعته شاكرا بعد أن رأيت فيه المرونة والتعقل، ولو كنت مكان المسؤولين في السعودية لاخترته سفيرا لدى الحكومات الكبرى.
إمام الجمعة والجماعة
ذهبت إلى هذا الشيخ، وهو عبد الله خياط، إمام الجماعة والجمعة وخطيبها في الحرم الشريف، ومستشار وزارة المعارف، وابتدأته بقولي المكرور: أنا حاج من لبنان، وإذا كان من فوائد الحج وبركاته التعارف بين المسلمين، فأولى أن نتعرف ونعرف أعيان هذا البلد الأمين، وقد زرت وتعرفت على رئيس القضاة الشيخ سليمان بن عبيد، وعميد كلية الشريعة الأستاذ أحمد على، ومدير التفتيش الديني الشيخ محمد بن عبد الله، وسررت بمقابلة هذا المدير كثيرا.. قلت هذا، وانتظرت، ليعلق بالإيجاب أو السلب، ولكنه بقي صامتا، فاستأنفت الكلام، وقلت: إن الشرطة كانوا يضايقون الحجاج من قبل، أما اليوم

فأخف، فهل هذا يعني أنكم رأيتم سياسة التسامح أفضل؟.
قال: كل ما يقال هو مجرد دعاية ضدنا.
قلت: إن للإسلام إمكانات وقوى عظمية، وعلى المخلصين أن يستغلوها لتحسين العلاقات الاجتماعية النافعة للمسلمين.
قال: إن الصلاة عامود الدين إذا قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها.
قلت: هذا حديث صحيح، ولكن له مقام آخر.
قال: كل حديث غير حديث الصلاة لا يجدي.
قلت: وهل هناك طائفة تنتمي إلى الإسلام، وتترك الصلاة؟.
قال: الشباب الشباب لا يصلون، ثم أفاض بالكلام عن تهاون الشباب بالصلاة.. هذا، مع العلم بأن هذا الرجل حين يقف للصلاة في الكعبة يغض الحرم والمسعى على سعتهما بالمصلين، ويمتلئ الشارع والسوق المحيط بهما بالمؤتمين، وأكثرهم من الشباب، ومع ذلك لم يشبع، ويطلب المزيد من المؤتمين به...
قلت: وأي مانع من اتحاد المسلمين، وعملهم يدا واحدة لحمل الشباب على الصلاة؟.
قال: أبدا إلا الصلاة أولا، والاتحاد ثانيا.
قلت: يا شيخ إن للإسلام أعداء يكيدون له عن طريق الدس، وحمل بعض المسلمين على تكفير بعض، لينالوا

منهم ما يبتغون، فعلينا أن ننتبه لأهدافهم ودسائسهم.
قال: الله يوفق، الله يوفق، قالها بأسلوب يشعر بعدم الرضا والاقتناع. أما الصورة التي ارتسمت في ذهني لهذا الشيخ فهي نفس الصورة التي ارتسمت في ذهنك أيها القارئ، وأنت تقرأ ما دار بيني وبينه من الحوار.. ومن الحكايات الشائعة في قرى جبل عامل أن رجلا أطرش كان يزرع الفول في أرضه، فمر به آخر، وسلم عليه، فظن الأطرش أنه يسأل ماذا يزرع؟. فقال: ازرع الفول. قال له: كذا في ذقنك. فقال بطولها، وهو يريد أن الزرع امتد من أول القطعة إلى آخرها.. هذا الشيخ المتعصب الذي إئتم بإبليس إمام المتعصبين يأتم به الهمج الرعاع، ويطلبون من الشيعة أن يأتموا به.. وقد عقد البخاري في الجزء الأول من صحيحه بابا خاصا في أن " أهل العلم والفضل أحق بإمامة الصلاة ".
ولا أدري إذا كان المستشارون في وزارة المعارف السعودية كلهم على شاكلة هذا الخياط، وفي وعيه ومعرفته؟. في المدينة المنورة:
بعد الانتهاء من الحج ومناسكه سافرت إلى المدينة المنورة ووصلت إليها يوم الثلاثاء ١٦ ذي الحجة ٢٨ نيسان سنة ٦٤، وكان البيت الذي نزلت فيه تقريبا من البقيع، لذا ابتدأت بزيارة قبور أئمة البقيع عليهم السلام، والبقيع قطعة واسعة

من الأرض مسورة بحائط رفيع، وله باب يقف عليه شرطي، يمنع النساء من الدخول، ويأذن للرجال، وفي هذه البقعة المباركة المقدسة دفن الإمام الحسن، والإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، وكثير من الصحابة والصلحاء، وكان على قبور الأئمة الأربعة بناء تعلوه قبة، فهدمه الوهابيون سنة ١٣٤٣ ه. حين انتزعوا الحجاز من الشريف حسين، واستولوا عليه.

ولم يحجموا عن هدم الحرم النبوي إلا بعد أن ثارت ثائرة المسلمين عليهم، وقامت الدنيا على رؤوسهم، ولم تقعد، وإلا بعد أن تأكد لهم أن المسلمين لا يدعون وهابيا على وجه الأرض، لو مسوا القبر الشريف بسوء.. وقد سمعت خطيبهم يخطب في حضرة الرسول، ويقول بحرقة وحسرة: كان علينا أن نمنع الناس عن هذا المكان، ولكن ماذا نصنع، وقد غلب على أمرنا.. ورغم أن مكانة أهل البيت هي مكانة جدهم بالذات، وحقهم هو حقه على كل مسلم إلا أن اهتمام الشيعة وتمسكهم بهذا الحق، وإبرازهم لهذه المكانة وخصائصها وآثارها حمل غيرهم من المسلمين أن يتجاهلوا، ويغضوا الطرف عن جريمة الوهابيين، وما فعلوا بقبور الآل الكرام.

دخلت البقيع، فرأيت الألوف يحيطون بقبور الأئمة، يزورون ويدعون، ويتضرعون ويبكون، أما النساء فيقفن وراء الحائط، يزرن متجهان إلى البقيع.

ولم أستطع المكوث في البقيع، بعد أن رأيت ما رأيت من آثار الظلم والجور على أهل البيت الذين أشادوا صرح الدين، وأعلوا كلمة الحق.. لم أستطع التأخير رغم تشوقي وتلهفي، وأي فرق بين أن أرى آثار الوهابيين في البقيع، وبين أن أرى ما فعل الأمويون والعباسيون بأهل البيت؟.. كل منهم أراد أن يشتفي وينتقم لنفسه من الحق والعدل، وانتهج سياسة الضغط وكبت الحريات، وأعلن الحرب على العقائد والمبادئ، وعلى كل شعيرة لها تأثيرها في نشر الحق والعدالة، والمساواة، وكراهية البغي والمحاباة.

وقد يظن أني أقول هذا بوصفي شيعيا موليا موتورا، يريد أن ينتقم لعقيدته وأئمته.. وقد يكون هذا الظن حقا، وقد يكون باطلا، ولكن الحق الذي لا يتطرق إليه الشك والريب أن الوهابيين اليوم كالأمويين والعباسيين بالأمس، يعيشون في الترف والنعيم، والناس حولهم جياع عراة، وما هو المبرر لهذا التفاضل والاستئثار؟ هل هو الشرف والعظمة التي يدعيها الجهلاء والسفهاء؟ فهؤلاء آل الرسول أشرف وأعظم الناس إطلاقا بعد جدهم، ومع ذلك قدروا أنفسهم بأفقر الناس، يشبعون يوما، يجوعون أياما، فكيف بالأدعياء؟.. إذن لا مبرر إلا الظلم والجور.. ولولا أهل البيت ومن سار بسيرتهم لم تتضح هذه الحقيقة، ولم يفتضح بسببها الدعي المستأثر، ومن هنا كانت إساءة التقي للشقي، والمحق للمبطل، والشريف للوضيع، والعالم للجاهل. وهذا

ما قوى من عزيمة الوهابيين على الهدم، ومحاولة الاعفاء على الرسم، وإن تصوروا، وخيل إليهم أن الدافع والمحرك الأول هو الإخلاص للوحدانية، والقضاء على الوثنية.

وتقول: إن الوهابية تدين بعدم البناء على القبور منذ وجودها، حيث لا ذهب أسود، ولا أبيض، ولا فولاذ ولا زنك ولا حديد.

قلت: هذا صحيح، وصحيح أيضا أن من يستأثر على الناس بما تحتاج إليه هو وعد طبيعي لمن لا يرى لنفسه شيئا تحتاجه الناس، أراد ذلك، أو لم يرد.

ومهما يكن، فإن استطاع الوهابيون أن يزيلوا الأحجار عن قبور الأئمة الأطهار، فإنهم أضعف من أن يزيلوا ذرة من الحب والولاء للرسول وآله، أو يمحوا كلمة واحدة من كلامهم، وحكما من أحكامهم، فلقد دلتنا التجارب المتتالية عبر التاريخ إن عظمة الآل ترتبط بإرادة الله، لأنه هو الذي اصطفاهم واختارهم للعظمة، ولا راد لما اختار وأراد، فلقد فعل يزيد الأموي، والمتوكل العباسي وغيرهما ما فعل الوهابيون، وكانت النتيجة أن اقترن اسم الآل بالتقديس والصلوات، واسم أعدائهم بالتحقير واللعنات إلى يوم يبعثون.

وقد سمعت بأذني هذه اللعنات، وأنا في البقيع، وسمعها شرطة الوهابية تنطلق من أعماق القلوب كأنها الصواريخ تنقض على رأس من ظلم وهدم.

إن الأحجار ليست بشئ في ذاتها عند الشيعة، ولا صلة لها بالعبادة، ولا بالولاء.. وما هي إلا علامات ودلائل على المكان، تماما كالمآذن، والسر هو التدين بولاء أهل البيت، لأنهم قتلوا وشردوا وظلموا في سبيل الحق، أما قلق الشيعة لهدم قبور أئمتهم فلأنه امتداد لذاك الظلم، هذه هي الحقيقة، أما عبادة الأحجار، أو عبادة صاحب القبر فكلام فارغ لا مدلول له ولا أثر عند الشيعة، بل هذه العبادة شرك في عقيدتهم، ولا يورثون فاعلها، ولا ولا يخالطونه في مأكل أو مشرب..

وبالاختصار أن الشيعة يدينون بالعدل وأهله، وكلما قويت شوكة الظالمين، وتفاقم ظلمهم في أي زمان أو مكان كلما ازدادوا تجاوبا وانسجاما مع أهل الحق والعدل.

وبالتالي، فإن الشيعة، وهم ما يقرب من مئة مليون، لا يسمحون للوهابية فعلتهم إلا أن يدعوا لهم الحرية الكاملة في إعادة البناء، وهي حق مشروع لهم، ولكل مسلم آمن بالله وكتابه، وبالنبي وسنته، وهذه الحرية هي السبيل الوحيد لجمع الشمل، وتوحيد الكلمة، والقضاء على الأحقاد والأضغان التي يثيرها منظر الهدم والتخريب. إلى الحرم النبوي:

تركت البقيع، وأنا تائه القلب والعقل، وقصدت الحرم النبوي الشريف، وبغير شعور رأيتني أقبل الباب عند

الدخول، ثم أهجم على القبر الزكي ألثمه باكيا شاكيا إلى الله وإلى صاحب القبر ما حل بأهله أحياء وأمواتا.. وأشكر تلك الصدفة، حيث لم تدع أحدا ينتبه إلي، أجل، سمعت قائلا يصيح: لا لا، فتنحيت عن القبر خشية أن يحدث ما لا أحب، وبعد أن زرت، ودعوت شققت طريقي بين الأمواج البشرية المتدافعة إلى الروضة بين قبر النبي ومنبره، حيث يكثر الزحام فيها، والتسابق إليها، تماما كما هي الحال عند الحجر الأسود، لحديث بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة. واستطعت بحمد الله أن أصل إلى هذه الروضة أكثر من مرة، بل، وصليت فيها تماما، فكنت أنتظر واقفا خلف بعض المصلين، والجالسين إلى أن يترك مكانه، فأسبق إليه قبل إن يحتله غيري، وقد أشركت في دعائي، وأنا في هذه الروضة، كل من تصافيت وإياه على الحب في الله، واستخلصني، واستخلصته للعلم والإيمان، لا للدنيا، ودعم الكيان.. أما من سقمت مودته، لا شئ إلا لأنه لا يطيق أن يسمع كلمة خير عن صديق أو مثيل ورفيق فقد طلبت من الله سبحانه أن يعينه على نفسه، ويطهر لسانه وقبله مما يشين، ويرفعه بالعلم والورع والإخلاص إلى أعلى عليين.

ودخل الغدير، وأنا في طيبة مهبط الوحي والتنزيل، وحيث بيت علي وفاطمة الذي ولد فيه، ودرج الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.. ورغب إلي التقي النبيل

العلامة الشيخ محمد علي العمري عالم النخاولة أن ألقي محاضرة بهذه المناسبة في الحسينية مساء ١٨ من ذي الحجة، فلبيت مغتبطا، وكيف أرفض، أو أتردد في أمر عشت من أجله وأوقفت له عمري كله، وغص المكان بالناس في داخله وخارجه، يستمعون بكل مشاعرهم، يخيم عليهم جلال اليوم، وعظمة صاحبه، يجمعهم عقل واحد، وقلب واحد يتدفق بالحب والولاء للغدير وصاحب الغدير.

وكانت ساعة أحسست بأنها تعادل حياتي كلها، وأي ساعة أجل، وأفضل من ساعة أقف فيها خطيبا في بلد الصادق الأمين، ويوم أخيه ووزيره وخليفته مرددا ومعددا نفس الفضائل والمناقب التي رددها وعددها رسول الرحمة قبل حجة الوداع، وفيها وبعدها، وبلغها، وهو على مفترق الطرق، أهل الدنيا جيلا بعد جيل الحمد لله، وله الشكر على ما وفق من حج بيته الحرام، وزيارة قبر نبيه وأبنائه عليه وعليهم السلام، والقيام بما وجب علي في هذا اليوم العظيم الذي اختار الله فيه عليا عصمة للمؤمنين، وخليفة لرسول رب العالمين: نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء... ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. مع رئيس القضاة:

وذهبت في اليوم الثاني إلى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، وفيها جميع قضاتها وهم خمسة، وعليهم رئيس،

كما هي الحال بمكة المكرمة، دخلت غرفة أحدهم، وجلست على بعض مقاعدها، فنظر إلي القاضي، وقال: هل من حاجة؟. قلت له: هل أنت قاض؟. قال: نعم، ونائب الرئيس. سألته عن اسمه؟. قال: عبد المجيد بن حسن.

قلت: هل تسمح بالاطلاع على سجل الأحكام، فإني أحب أن أقارن بينها وبين الأحكام في لبنان؟.

قال: هل أنت قاض؟.

قلت: أجل،

قال: في المحاكم الحنفية، أو الجعفرية؟.

قلت: أنا جعفري. وشرعت بالحديث عن الإسلام والمسلمين، وبأي شئ يؤكدون أنفسهم، ويطورون قواهم اجتماعيا، وسياسيا.. وكان يردد قول طيب طيب، ولا يزيد، وحين هممت بوداعه قال: إلى أين؟. قلت: إلى الرئيس الشيخ بن عبد العزيز بن صالح، فأرسل معي شرطيا أرشدني إلى غرفته، فتحت الباب، ودخلت، فأهل ورحب.

وبدأت الحديث بهذا السؤال: كيف تفسرون قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: اختلاف أمتي رحمة؟.

قال: اختلافهم في الفروع، لا في الأصول.

قلت: إذن جميع الطوائف الإسلامية من أمة محمد، لأن الأصول هي الإيمان بالله، والرسول، واليوم الآخر،

والكل يؤمنون بذلك دون استثناء.
قال: وهناك أصل آخر.
قلت: ما هو؟.
قال: خلافة أبي بكر، وأنها حق له بعد الرسول بلا فاصل.
قلت: الخلافة من الأصول؟!.
قال: نعم.
قلت: لقد نفى السنة عنهم هذا القول، ونسبوه إلى الشيعة الإمامية، وأنكروه عليهم (١).
قال: أجمع أهل السنة على أن خلافة أبي بكر من الأصول، وأصر.
قلت: لا يثبت أصل من أصول الدين إلا ببديهة العقل، أو بنص الكتاب نصا صرحا، أو بسنة تكون بقوة القرآن ثبوتا، وبدلالة لا إله إلا الله وضوحا، أما أخبار الآحاد فليست بشئ في باب الأصول، وإن كانت حجة في الفروع.
قال: هذا صحيح، وقد تواتر عن الرسول أنه قال: يأبى الله ورسوله إلا أبا بكر.
قلت: كيف يكون هذا متواترا، ولم يروه الشيخان البخاري ومسلم ولا احتج أبو بكر، ولا عمر، ولا أحد

---

(١) جاء في كتاب المواقف وشرحه: ٨ / ٣٤٤: " ليست الإمامة من أصول الديانات والعقائد خلافا للشيعة، بل هي عندنا من الفروع.

يوم السقيفة حين رأى الأنصار أنهم أولى من أبي بكر بالخلافة، فشرع يتكلم عن الحديث وأقسامه، ثم أكد مصرا على تواتره، وأنه لم يخالف في ذلك إلا الشيعة، ولما لم أجد وسيلة لإقناعه قلت له: هل من شرط صحة الحديث أن يثبت عند الجميع، أو عند من يعمل به فقط؟. قال: بلى عند من يعمل به.

قلت: هذا الحديث لم يثبت عند الشيعة لا بطريق التواتر، ولا بطريق الآحاد، ولذا لم تكن خلافة أبي بكر عندهم من الأصول، ولا من الفروع. البناء على القبور:

وقد لمست من كل من اتصلت به من شيوخ الوهابية الإعتقاد بأن البناء على القبور شرك وإلحاد، وأن القصد وشد الرحال لزيارة قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أكبر الكبائر.. وبذلك صرح الأمير فيصل بن عبد العزيز في الخطاب الذي ألقاه بمكة المكرمة، وأكد أن بناء المسجد على قبر الرسول حرام، وهو طريقة اليهود والنصارى، وقال ما نصه بالحرف الواحد:

" قال رسول الله: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا قبري هذا من بعدي مسجدا، فما معنى ذلك؟. ربنا يقول: ادعوني أستجب لكم، ما قال: ادعوا الأنبياء، ولا ادعوا الملائكة، ولا

ادعوا الأولياء والصالحين ". (جريدة الندوة المكية عدد السبت ٦ ذي الحجة سنة ١٣٨٣ ه.).

ومن قبل ذهب أخوه الملك سعود إلى إيران، وطالبه العلماء أن يسمح بإعادة البناء على قبور أئمة البقيع فجابههم بهذه الآية: " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " أي أن هؤلاء الشيوخ كافرون، لأنهم طالبوا بغير ما أنزل الله.. وإذا عطفنا قول فيصل على قول أخيه سعود تكون النتيجة أن الحاكم في السعودية هو وهابي قبل كل شئ، وأن الوهابية فوق كل شئ، حتى الشعب والناس أجمعين..

ومن قرأ كتبهم ظهرت له هذه الحقيقة بأجلى معانيها، فقد جاء في كتاب: " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " ص ٤٨١: إن تعلية القبور من ذرائع الشرك ووسائله.. وفي ص ٣٢ و ٤٨٣ إن تجصيص القبور والصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها ".

وجاء في كتاب " تطهير الإعتقاد من أدران الألحان " ص ٣٨: هؤلاء القبوريون سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة. وفي ص ٣٢ أن تسمية القبر مشهدا، ومن فيه وليا لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن.. وفي ص ٣٤ فإن قلت: هل الذين يعتقدون بالقبور والأولياء مشركون كالذين يعتدون بالأصنام؟. قلت: نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك، بل ازدادوا في الإعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم ".

وإذا كان التعمير على القبور شركا، والاعتقاد بالأولياء أكبر من الشرك وأعظم فهل يبقى مجال للسعي، أو أمل في إقناع الوهابيين؟.

وذهبت في اليوم الثالث إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة، فوجدتها مقفلة، لمناسبة عطلة العيد، وبعد رجوعي إلى لبنان أخبرني الدكتور مجتهد زادة عميد كلية المعقول والمنقول بخراسان أنه ذهب إلى هذه الجامعة بعد العطلة، واجتمع بالأستاذ محمد العبودي الأمين العام لها، وأخبره أن عند الجامعة أربعة كتب من مؤلفاتي، ولكنهم يمنعون الطلاب من الاطلاع عليها، كما اجتمع بصالح بدر الحيدري مدير متوسطة أبي بكر الصديق بالمدينة، وقال له: أنه قرأ كتبي، وأنه يرغب في مقابلتي. وأرى لزاما أن تهدى بعض كتب الشيعة لعلماء الوهابية، ومكتباتهم العامة بمكة والمدينة والرياض، ولأساتذة المعاهد والكليات، أرى هذا رغم علمي ويقيني أن للوهابية مبدأ لا تحيد عنه، وهو أن كل من عداهم مشرك، وإن نطق بكلمة التوحيد، وصام وصلى، وحج وزكى، وقال بالثواب والعقاب، وأن المشرك على نوعين: مشرك لا ينطق بكلمة التوحيد، ولا يصوم ويصلي، ولا يحج ويزكي، ولا يقول بالثواب والعقاب ومشرك ينطق بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصوم ويصلي، ويحج ويزكي، ويقول بالثواب والعقاب...

وتظهر لك هذه الحقيقة من الفصول التالية.

المسلم والكافر

المسلم:

معنى الإسلام في اللغة الانقياد والاستسلام، أما الشرع فقد استعمله في معان شتى، منها المسلم الأخلاقي السلبي الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ". فإن في غير المسلمين من يكف أذاه عن الناس أجمعين، لا عن المسلمين فقط، وقد سمعنا، وقرأنا عن أفراد من الهندوس بلغوا الغاية في المسالمة، حتى لمن اعتدى عليهم.. ومهما يكن، فإن المسلم الكامل في خلقه هو من أدى حقوق الناس إلى جانب قيامه بحقوق الله جل وعز.

ومنها المسلم العامل الإيجابي (١) قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في جواب من سأله أي الإسلام خير: " إطعام الطعام، وإفشاء السلام ". وقال: ثلاث من كن فيه فقد جمع الإيمان: والإنصاف من نفسك، وبذل السلام، والإنفاق من الإقتار ".

---

(١) إن الإسلام كما يطلب من الإنسان أن لا يجرم، يطلب منه أن يحارب المجرمين ".

وإطعام الطعام كناية عن العمل النافع، بخاصة ما كان منه لسد العوز، ودفع الفقر عن المحتاجين، أما السلم والسلام فهو قوام الحياة، قال بعض شراح الحديث: وإنما خص النبي هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما.

ومنها المسلم الذي يجري عليه أحكام الإسلام من المناكحة والتوارث، وعصمة الدم والمال، وتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه ميتا، ودفنه في مقابر المسلمين، وبكلمة أن نلتزم دينا بأن له للمسلمين، وعليه ما عليهم، تاركين ما عدا ذلك لجزائه في الآخرة، فعذابه في نار جهنم، بل خلوده فيها لا يمنع أبدا من أن نجري عليه حكم الإسلام، فإن أمير المؤمنين عليا قاتل أهل الجمل، ولم يجز تقسيم أموالهم، وسبي نسائهم، وأيضا قاتل الخوارج، وقال: لا نمنعهم من المساجد، ولا من الفئ. أما قوله في أهل الشام الذين تجمعوا لقتله وقتاله في صفين: " إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام، أما قوله هذا في أعدى أعدائه أولد خصومه فقد بلغ الغاية في أنصاف الخصوم والأعداء، وهذا المسلم هو المقصود من هذا الفصل، ومن قول الفقهاء: " الإسلام الظاهر " وقد جاء تحديده في كتاب الله، وسنة الرسول واضحا جليا.

قال تعالى في سورة التوبة: " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيله ". وفي الآية ١١ من هذه

السورة: " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ".
وعن ابن عباس أن هذه الآية حرمت دماء أهل القبلة. وفي الآية ٦٤ من سورة النساء: " ولا تقولوا لمن ألقى السلم لست مؤمنا ". وقد دلت الآية على أن من أظهر أدنى علامة من علامات الإسلام، كالتحية جرت عليه جميع أحكامه، قال البخاري: " أن رجلا كان في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأنزل الله هذه الآية ".
وفي البخاري ومسلم أن النبي قال: " أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيمون الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله ".
وفي الحديث دلالة صريحة على الاكتفاء بظاهر الإسلام، وترتب الأحكام بمقتضاه، بخاصة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " وحسابهم على الله ".
قال ابن حجر في فتح الباري: " ويؤخذ منه – الضمير عائد على هذا الحديث ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره بدون تفضيل بين كفر ظاهر أو باطن ".
وأيضا في البخاري عن النبي: " أتدرون ما الإيمان

بالله وحده؟. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس ".

وأيضا في البخاري ومسلم، وعن الترمذي وابن حنبل إن النبي قال: " من مات، وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ". وأيضا عن البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن حنبل إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: " إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله ". وأيضا في البخاري ومسلم، وعن الترمذي وابن حنبل إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، وإن ارتكب الكبائر ". وأيضا عن ابن حنبل عن النبي: " ماذا يجد من قال: لا إله إلا الله عند حضرة الموت ". وأيضا في البخاري ومسلم، وعن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حنبل عن الرسول الأعظم: " من قال: لا إله إلا الله فد عصم ماله ونفسه ".

أما حديث بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت فقد تجاوز حد التواتر عند جميع الطوائف الإسلامية، ومن راجع كتب التاريخ والسير، وكتب الفقه والتفسير يرى أن علماء المسلمين مجمعون قولا وعملا منذ حدوث الاختلاف فيما بينهم إلى يومنا هذا على أن يعاملوا من نطق بالشهادتين معاملة المسلمين

من الزواج والإرث واحترام الدماء والأموال، فمن أقوالهم في باب الجنائز: " تجب الصلاة على أهل القبلة ". وفي باب الإرث: " المسلمون يتوارثون على اختلاف مذاهبهم ". وفي باب الحدود: " لا يقام الحد على أحد إلا إذا سلم من الشبهة. وقالوا: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وأن المرتد إذا كانت ردته بالشرك فإن توبته بالشهادتين، وفي كتاب المغني لابن قدامة: ٧ / ١٢٧ و ١٤١ وما بعدها ما نصه بالحرف: " أن رجلا استأذن رسول الله بقتل رجل من المسلمين، فقال الرسول: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن لا شهادة له. قال الرسول: أليس يصلي؟. قال: بلى ولكن لا صلاة له. قال النبي: أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم ". ثم قال صاحب المغني: وإذا ثبتت ردته بالبينة أو غيرها، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لم يكشف عن صحة ما شهد عليه به، وخلي سبيله.

وهذا الكتاب في الفقه على مذهب الحنابلة، وهو المعتمد عند الوهابية، هذا، إلى أن المعهود من طريقة الشارع التشدد والاحتياط في أمر التكفير، وهو من الموارد التي يتغلب فيها الضعيف على القوي، فلو وجد ٩٩ وجها للتكفير، ووجد وجه واحد لعدمه تغلب الواحد على التسعة والتسعين. وعلى الرغم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي جاءت في الصحاح الستة وغيرها، وعلى الرغم من قيام

الإجماع من يوم الإسلام الأول إلى آخر يوم، وعلى الرغم من أن التسامح من فضل الرحمن، والتعصب من لعنة الشيطان، على الرغم من ذلك وغير ذلك فقد جزم ابن تيمية بأن النطق بالشهادتين لا يكفي، والعلم بهما لا يجدي، والصوم والصلاة، والحج والزكاة لا ينفع إلا من آمن بآراء ابن تيمية، وكفر بغيرها.

ولا شئ أدل على ذلك من أنه قسم المشركين إلى نوعين: نوع لا ينطق بالشهادتين، ولا يصوم ويصلي، ولا يحج ويزكي، ولا يؤمن بحساب وعقاب، والنوع الآخر من المشركين ينطق بلا إله إلا الله وبمحمد رسول الله، ويصوم ويصلي ويحج ويزكي، ويؤمن بالحساب والعقاب، وهذا النوع هم المارقون من الإسلام، لا لشئ إلا أنهم لا يعتقدون كل ما يعتقده ابن تيمية (١) وهكذا بلغ به التشدد أن لا يرضى إلا عمن وافقه فيما هو عليه، والذي أفهمه من هذا التشدد أنه تماما كالذين عناهم الله بقوله: " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " البقرة ١٢٠. من أقوال ابن تيمية

قال ابن تيمية واضع حجر الأساس لمذهب الوهابية في

---

(١) إذا صح هذا التقسيم فإنما يصح ويصدق على من قسم المشركين إليهما، قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: من كفر أخيه بغير تأويل فهو كما قال: أي كافر (صحيح البخاري).

كتاب " الرسالة التدمرية " ص ٦٢ ما نصه بالحرف: " فإن عامة الذين يقرون بالتوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد بذاته، لا قسيم له، وواحد في صفاته، لا شبيه له، وواحد في أفعاله، لا شريك له. وقال في كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم " ص ٤٥٩: " وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا حقيقته في نفوسهم ". وفي ص ٤٦٥: " فسوى بين المؤمنين والمشركين ".

ومعنى هذا أن جميع علماء الكلام مشركون " وكذلك العابدون المتعبدون لا ينفعهم إيمانهم بأن الله واحد بذاته، واحد بصفاته، واحد بأفعاله.. يقول الله ورسوله: إن المسلمين هم الذين لا يستكبرون على كلمة التوحيد، ويقول ابن تيمية: كلا، إنهم مشركون، وإن لم يستكبروا عليها. وأراد الله والرسول أن يجمعا صفوف المسلمين بالقصد إلى بيت الله الحرام، والصلاة إلى قبلة واحدة، ويأبى ابن يتيمة إلا أن يشتت، ويفرق، ويفتت، وإن نطقوا بالشهادة، وصلوا جميعا إلى القبلة واحدة، وحجوا إلى بيت واحد.

علماء الكلام الذين لا يدعون مع الله إله آخر، ولا بعد محمد نبيا آخر، علماء الكلام الذين ذبوا عن الإسلام، ودفعوا عنه الشبهات، وناضلوا أهل البدع، وأحسنوا كل الإحسان في نصرة الكتاب والسنة، علماء الكلام هؤلاء مشركون عند

ابن تيمية أمام الوهابيين، لا لشئ إلا لأنهم نزهوا الله عن المثيل والشبيه والشريك.
والآن تعال معي لنقرأ رد " ابن تيمية على المتكلمين، قال في ص ٦٤ من
" الرسالة التدمرية ": " يريدون من هذا اللفظ – أي نفي المثيل والشبهة
والشريك نفي علو الله على عرشه، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من
المعاني
المستلزمة لنفيه وتعطيله ". وتوضيح كلامه هذا أن الله في واقعه لا يمتاز عن خلقه، لا
في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولكن المتكلمين يجعلونه مباينا وممتازا عن
الخلق، وهذا الامتياز والتباين يستلزم تعطيل الله، وبالتالي، نفيه وتعطيله من
الأساس، والنفي والتعطيل جحود وشرك، فالمتكلمون، إذن، مشركون..
أرأيت إلى هذا التفكير وهذا المنطق؟. كيف يستخرج الشرك من التوحيد،
والكفر من الإسلام، والإلحاد من الإيمان؟. لقد قال علماء البيان: أن الكلام يحتمل
الصدق والكذب، ولكن حيث يكون كل من الصدق والكذب ممكنا، والكلام
يتحملهما معا، أما حديث لا يمكن إلا الكذب، بحيث لا يتأتى الصدق بحال، مثل
الموجود معدوم، والعلم جهل، والظلم عدل، والليل نهار، والحب بغض، والأمانة
خيانة، أما هذا الكلام، وما إليه فهو لغو وهذيان.
وأيضا قال ابن تيمية في كتاب " نقض المنطق " ص ٤٦: " أو يقال هم – أي
المتكلمون – لما فيهم من العلم يشبهون

عبد الله بن أبي سرح الذي كان كاتب الوحي، فارتد، ولحق بالمشركين، فاهدر النبي دمه عام الفتح ". وقال في ص ٨٨: " وكذلك المتكلمون المخلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين، وإن كان مبتدعين – يريد بالمبتدعين من لم يقولوا بقوله – وتارة مع الفلاسفة الصابئين، وتارة مع الكفار المشركين ".

فأبوا الحسن وأتباعه من المسلمين الذين يعدون بالملايين والغزالي والنوبختي ومحمد بن كرام، والباقلاني، وواصل بن عطاء، والنظام الرازي والإيجي والجرجاني، كل هؤلاء وأشياعهم، ومن إليهم من أقطاب المسلمين مشركون مرتدون مبتدعون صابئون، لا شئ إلا لأنهم خالفوا ابن تيمية في رأي من آرائه، وقول من أقواله.

إن علم الكلام هو المعرفة العقلية التي يبتني عليها الدين والعقيدة الإسلامية، فإذا كانت هذه المعرفة كفر وشرك، وبدعة وضلالة فماذا يكون الدين والإسلام؟.

وإذا كان العلماء الكبار كالأشعري والغزالي، وأضرابهما مشركون، فمن هو المسلم يا ترى ولا يقتصر وينحصر تكفير ابن تيمية في العلماء، فإن كلامه صريح بتكفير كل من يعظم قبر الرسول ويصلي عنده، ويقصده للزيارة، وبديهة أن المسلمين جميعا يعظمون القبر الشريف، ويصلون عنده، ويقصدونه للزيارة، قال في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم ص ٤٥٧:

" قد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم، واستزلهم

عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك، فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير رضى الله، والرغبة إلى غيره، ويشدون الرحال إلى قبر نبي، أو صاحب، أو صالح، أو من يظنون أنه كذلك ". فزيارة قبر الرسول عند ابن تيمية غواية من الشيطان، وضرب من الشرك، حتى ولو قصد بها مرضاة الله وثوابه.

وقال في ص ٣٣٣: " إن اللات، وهي صنم، كان هبب عبادتها تعظيم قبر رجل صالح " أي أن تعظيم قبر الرسول يستتبع جعله صنما، تماما كاللات والعزى.

وقال في ص ٣٣٤: " أما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به " فالصلاة لله عند قبر النبي بقصد التبرك بدعة ومحادة لله والرسول، وبديهة أن المسلمين أجمعين يتبركون بالصلاة في البقعة المقدسة التي فيها الجسد الشريف.

وقال في ص ٤٠١: " الأحاديث المروية في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كقوله: من زارني، وزار أبي إبراهيم الخليل في عام ضمنت له على الله الجنة. ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي. ومن حج، ولم يزرني فقد جفاني، ونحو هذه

الأحاديث كلها مكذوبة موضوعة ". (١)

---

(١) روى أبو داود، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة عن النبي أنه دعا الناس لزيارة قبره والسلام عليه.

فتعظيم قبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم يؤدي إلى الشرك، والصلاة عنده للتبريك بدعة، وأحاديث زيارته مكذوبة وموضوعة.. فهل هذا من ابن تيمية تسامح ومحبة للمسلمين، أو تحقيق وتدقيق، أو احتياط وتورع؟. وهل في تكفيره الفرق الإسلامية دعوة إنسانية، وإخوة شاملة؟. ولماذا كل هذه اللهفة والتعطش للتكفير والتفسيق أحبا بغرس الأضغان والأحقاد، وإثارة الفتن والإحن؟.. إن المصلح المفكر يهتم بإسعاد الإنسان وتخفيف آلامه وويلاته، ويهتم ابن تيمية بتكفير الناس، ورميهم بالشرك والزندقة، حتى كأنه التكفير والتفسيق مبدأه ومنهجه فيما يكتب ويحكم.. ولا أدري إلى شئ يهدف من وراء هذا التعصب والتشدد؟. هل يريد أن يوجد فئة تعظمه وتقدسه عن هذا الطريق؟. الله أعلم.

المسلم والدولة الإسلامية
الدولة الإسلامية
يتمنى كل مسلم يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أن تقوم دولة إسلامية قوية في بقعة من الأرض، أية بقعة، تحكم باسم الإسلام، وتأخذ بمبادئه وتعاليمه في جميع شؤونها، غير خاضعة في شئ من تصرفاتها السياسية والثقافية والاقتصادية لأية سلطة من الخارج أو الداخل.
كل مسلم عربيا كان أو أعجميا يتمنى قيام هذه الدولة ويشعر من الأعماق بالحاجة إليها.. ولو استطاع أن يخلقها خلقا، ويدفع ثمنها من دمه وأهله لفعل، وضحى بكل عزيز، لا لغاية اقتصادية، ولا للمضاهاة والمباهاة، لا لشئ إلا لإعزاز كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله. السعودية
ورب قائل: إن هذه الدولة موجودة بالفعل، وهي السعودية التي رسمت على علمها بالخط الطويل العريض كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأعلنت على الملأ أن دستورها

الوحيد هو الشريعة الإسلامية، مع أن المسلمين في شرق الأرض وغربها يتجاهلون وجودها، ولا يشعرون نحوها بشئ مما ذكرت، بل إن المسلمين كلهم أو جلهم يتمنون زوالها، قال الشيخ أبو زهرة في كتاب " المذاهب الإسلامية ". إن أكثر المسلمين ينفرون من الوهابية أشد النفور. الجواب

أعتقد أن هذا القائل – لو وجد – فهو غير جاد في قوله إلا أن يكون أعمى القلب والعينين، لأن العبرة بالتنفيذ، والعمل بما تمليه الشعارات، لا بالشعارات ذاتها، فكثيرا ما تأتي الشعارات للتغطية والتضليل، وكلمة لا إله إلا الله عظيمة وقوية، وحية نامية، فيجب أن تستعمل فيما وضعت له، أو فيما ينسجم معها انسجاما حقيقيا، حيث التقدم والازدهار، والعدل والحرية والمساواة، واجتناب المحرمات، لا حيث البؤس المتراكم إلى جانب الفسق والفجور، وضروب الإسراف والتبذير على أسرة الذهب والسيارات الفخمة، والسهرات الحمر مع السمراوات والشقراوات.

وإذا نظرنا إلى المملكة السعودية فلا نجد جهة إلا وفيها الضعف والهزال، والتأخر والانحطاط، فأول ما يبدو للناظر في هذه المملكة التفاوت بين الناس، وتفوق بعضهم على بعض بالمال والثراء، وتحالف الأقوياء مع الرأسمالية الأجنبية، لاحتكار الخيرات والموارد، واستغلال المستضعفين، وكبت

الحرية، والقضاء على الديمقراطية، هذا، إلى الأمية المتفشية والأمراض المنتشرة، والفقر الذي بلغ الغاية، مع العلم أنه قد مضى على قيام دولة الوهابية أربعون سنة، وأنها تسيطر على منابع البترول، ومناجم الذهب وسائر المعادن، وعلى الأرباح من الحجاج وغير الحجاج.. ولو أخذت السعودية بتعاليم الإسلام حقا، وعملت بأحكامه لما وجد في أرضها مريض ولا جاهل ولا بائس، ولعمت العدالة والحرية والرفاهية، وكانت المثل الأعلى للحضارة والتقدم، وكلنا يعلم أن الله سبحانه حين قيض للإسلام حكاما مخلصين التزموا بتعاليمه، وساروا على هديه تغير مجرى التاريخ، وخرج العالم من ظلمة الجهل والظلم إلى نور العلم والعدل، وأعطى الإسلام بفضل القائمين عليه أصدق مثال، وأبلغ حجة على أن الدين هو المصدر الأول لخير الإنسانية وسعادتها، والعلاج الناجع لويلاتها وآلامها.

وبكلمة أن الإسلام ثورة على الجمود والانحطاط، والظلم والمحاباة، والطمع والجشع، فإذا ما سادت الأوضاع الفاسدة في بقعة من الأرض، ورأى حكامها أنهم أولى الناس بالمال والجاه والسلطان تأكدنا أنه لا عين ولا أثر لمعنى الإسلام، حتى ولو تستر ساداتها ومترفوها بمظاهره وشعائره، تماما كما هي الحال في المملكة العربية السعودية، حيث تتسرب الملايين إلى جيوب المسؤولين، والشعب غارق في جهله ومرضه وفقره، ولو كان الإسلام دين الدولة حقا، ودستورها

الشريعة الإسلامية حقا لكان هذا الدين وهذه الشريعة موضوع الرعاية والتطبيق على رجال الدولة قبل غيرهم. وإذا ربح السعوديون المال والسلطان فإنهم قد خسروا ثقة المسلمين بهم في شرق الأرض وغربها، ومكانتهم الأدبية بين الأمم، والنتيجة الحتمية لهذه الخسارة هي نتيجة النازية والفاشية بالذات. الوهابية والخوارج

كان الخوارج أكثر المسلمين عبادة ومحافظة على الصلاة، حتى عرفوا بأهل الجباه السود من كثرة السجود، ومع ذلك كانوا يتورعون عن سفك الدماء، ونهب الأموال، والإخلال بالأمن.. سمع الصحابي عبادة بن قرط الأذان، فقصده يريد الصلاة، وإذا هو بالخوارج. فقالوا: ما جاء بك يا عدو الله؟ قال: أنتم أخوتي قالوا: أنت أخو الشيطان، لنقتلنك. قال: ألا ترضون مني بما رضي به رسول الله؟ قالوا: وأي شئ رضي به منك؟. قال: أتيته، وأنا كافر، فشهدت أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، فخلى عني. فأخذوه فقتلوه.

وقطع الخوارج الطريق على العالم المعروف واصل بن عطاء، ورفقة معه، ولما أرادوا قتلهم لا لشئ إلا لأنهم مسلمون قال لهم واصل: نحن مشركون ممن قال الله فيهم: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره. فنجوا، ولكن بعد أن اعترفوا على أنفسهم بالشرك، ولو قالوا للخوارج:

نحن مسلمون، وأخوتكم في الدين لقتلوهم كما قتلوا الصحابي عبادة.
ولا يختلف الوهابية عن الخوارج في هذا الصعيد، أجل، إن الوهابية لا يكفرون بعض الصحابة ويستحلون دماءهم كما هي الحال عند الخوارج، ومهما يكن، فإن الإسلام في مفهوم الوهابية ضيق جدا، بخاصة فيما يتعلق بالتوحيد، فإنهم يفسرونه تفسيرا ضيقا لا ينطبق إلا عليهم وحدهم، حيث يربطون به هدم القبور، وما بني عليها من المساجد، حتى قبر النبي، وتحريم الصلاة والدعاء عندها، ويحرمون زيارة قبر النبي، والتبغ والتصوير الفوتغرافي، وما إلى ذاك، أما وضع الستائر على الروضة الشريفة، وقول المسلم سيدنا محمد، وحق محمد، ويا محمد فبدعة وضلالة.. هذا هو الإسلام في مفهومهم، أما العلم وانتشار المعرفة، والقضاء على الفقر والجهل، أما عمارة الأرض، وصلاح المستضعفين فيها، والنضال في مرافق الحياة للتخلص من الضعف وآثاره، والتضامن والتعاون لإيجاد وسائل العيش والهناء للجميع، أما تجنب أسباب العداء والبغضاء، وشعور الإنسان اتجاه أخيه الإنسان، أما هذه، وما إليها فأمر ثانوي، وشئ عرضي.
وليس من شك أن الإسلام لو وقف عند فهم الوهابية وتفكيرهم، لما تقدم خطوة إلى الإمام، ولما كان للمسلمين هذا التاريخ الخطير الشهير الذي أرغم الأجانب وإلا باعد على الاعتراف بأن رسالة محمد بن عبد الله هي أم الحضارة

الحديثة، لقد استيقظ العالم كله على مثل أعلى جديد، وثار على القيود والتقاليد، وآمن بأن الإنسان لا يجوز أن يكون أداة لنجاح وسعادة إنسان آخر إلا في السعودية حيث يعيش حكامها في قصور أسست على الشقاء والجهل والانحطاط.

الوهابية والحشوية

الحشوية هم فرق من المسلمين " لها منهج خاص، تخالف فيه المعتزلة والأشاعرة والإمامية والمرجئة، وهذا المنهج هو حصر العلم والعرفة بظواهر الكتاب والسنة بنصهما الحرفي، حتى ولو خالفت العقل، ولم تتفق مع عظمة الله وجلاله، وتنزيهه وكماله، فالله سبحانه في عقيدة الحشوية له يدان ورجلان، وعينان وأذنان، ويقف ويجلس ويمشي، ويضحك ويبكي، ويصافح ويعانق، وبكلمة أن الحشوية يرون العلم والمعرفة بالنقل والرواية، لا بالعقل والدراية، وهم أشد الناس تعصبا، فكل ما يرونه صوابا هو الصواب، ومن خالفهم رموه بالكفر والزندقة..

قال الشيخ سليمان ابن عبد الوهاب أخو محمد عبد الوهاب في كتاب الصواعق الإلهية ص ٢٧ طبعة ١٣٠٦ ه: " والله ما لعباد الله من ذنب إلا إنهم لم يتبعوكم – الخطاب للوهابيين – على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة بإسلامه، وأجمع المسلمون على إسلامه ".

والوهابية هم الفرد الأكمل، والنموذج الأمثل للفئة القائلة بأن الآيات والروايات تبقى على دلالتها الحرفية، وإن خالفت العقل، وما تقتضيه أصول الدين.. قال الشيخ محمد عبده في كتاب " الإسلام والنصرانية " ص ٩٧ الطبعة الثامنة: " إن هذه الفئة أضيق عطنا، وأحرج صدرا من المقلدين.. وأنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقيد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين ". وعلق رشيد رضا على هذا الكلام بقوله: " يعني بهذه الفئة أهل الحديث، ومن يسمونهم بالوهابية ".

وفي الفصل الآتي يجد القارئ عرضا مفصلا لعقيدة الوهابية، كما هي في الكتب المعتبرة عندهم، ومنه يعلم جمودهم على الظاهر، وقد اعتبروا التأويل كفرا، لأنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله،

عقيدة الوهابية

قلنا: إن الوهابية حشوية أو أشبه بالحشوية الذين يتمسكون بحرفية الألفاظ، وإن قام ألف دليل من العقل على المجاز والتأويل، وأنهم يضيقون معنى الإسلام، ويتوسعون في مفهوم الشرك، بحيث لا يصدق التوحيد إلا عليهم، وإليك الدليل.

التوحيد والشرك

يرى الوهابيون أن جميع المسلمين - غيرهم - قد فسروا التوحيد تفسيرا خاطئا، وفهموه فهما لا ينطبق على الواقع، ولا يخرجه عن حقيقة الشرك، وعملوا بما فهموا.. إذن، جميع المسلمين مشركون، من حيث لا يريدون ولا يشعرون.

فالإنسان عندهم لا يصير موحدا بمجرد أن يشهد ويعتقد بلا إله إلا الله محمد رسول الله " وبأن الله هو الخالق الرازق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وبأن جميع السماوات والأرض، ومن فيهن، والأرضين السبع، ومن فيها، كلهم عبيد، وتحت تصرفه.. كل ذلك لا يفيد، ولا يجعل الإنسان موحدا ولا مسلما..

وكما لا تنفع كلمة الشهادة كذلك لا تنفع كثرة العبادة، ولا الإيمان بأن محمدا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا، ولا قول الإنسان: أنا مذنب، والأنبياء لهم جاه عند الله، وأتوسل بهم إليه تعالى، كي يعفو ويصفح " (١)
كل ذلك، وغير ذلك لا يجعل الإنسان موحدا ولا مسلما إلا أن يترك أمورا معينة.
" ومنها ": أن لا يتوسل إلى الله بأحد أنبياءه وأوليائه، فإن فعل، وقال – مثلا : يا الله أتوسل إليك بنبيك محمد أن ترحمني فقد سلك مسلك المشركين، وأعتقد ما اعتقدوا. (تظهير الإعتقاد ص ٣٦ الطبعة الأولى، والرسائل العملية التسع ص ٤٥ وما بعدها طبعة ١٩٥٧).
" ومنها ": أن لا يقصد قبر النبي للزيارة، ويشد إليه الرحال، وأن لا يتمسح به، ولا يمسه، ولا يدعو الله ويصلي لله عنده، ولا يقيم عليه بناء ولا مسجدا، ولا ينذر له. (تطهير الإعتقاد ص ٣٠ و ٤١، ونقض المنطق لابن تيمية ص ١٥ طبعة ١٩٥١، وفتح المجيد ص ٢٣٩ طبعة ١٩٥٧، واقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيمية ص ٣٦٨ طبعة ١٩٥٠). وفي صفحة ٤٠٤ من هذا

---

(١) رسالة التوحيد، ورسالة هذه أربع قواعد، ورسالة كشف الشبهات لمحمد عبد الوهاب، وفتح المجيد لحفيده، وتطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني وهو من أصح الكتب وأوثقها عند الوهابية، وغير هذه الرسائل والمؤلفات من كتبهم المعتبرة.

الكتاب " وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله " فإنه مشرك.
" ومنها ": أن لا يطلب الشفاعة من النبي، لأن الله، وإن أعطاها لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء، ولكنه نهى عن طلبها منهم (١) ومن طلب الشفاعة من محمد كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء. (الرسائل العملية التسع ص ١١٠، و ١١٤). أرأيت إلى هذا المنطق من يعظم الرسول لقربه من الله سبحانه كافر مشرك، ومن يساويه بالأصنام التي حطمها الرسول مؤمن موحد؟.
" ومنها ": أن لا يحلف بالنبي، ولا يناديه، ولا ينعته بسيدنا، كأن يقول: بحق محمد، ويا محمد، وسيدنا محمد، بل الحلف بالنبي وغيره من المخلوقات هو الشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار، قال حفيد محمد عبد الوهاب في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤١٤ طبعة ١٩٥٧: " قال ابن مسعود: " لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا " لأن الحلف بالله كاذبا كبيرة من الكبائر، ولكن الشرك - أي الحلف بغير الله - أكبر من الكبائر (٢).

---

(١) يجوز للمسلم أن يقول يا الله شفع في محمدا، ولا يجوز أن يقول: يا محمد إشفع لي عند الله. (من منشور ذ الملك عبد العزيز سنة ١٩٤٣).
(٢) لم يجزوا الحلف بغير الله، ومع ذلك قالوا: لو حلف الرجل بطلاق زوجته صح، وتطلق الزوجة.. اللهم إلا أن يقال: أن النهي في غير العبادة لا يدل على الفساد.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار ".
قال السيد الأمين في كتاب " كشف الارتياب " ص ١٢٧ الطبعة الثانية: " جاء في خلاصة الكلام صفحة ٢٣٠: كان محمد عبد الوهاب يقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه طارش، وأن بعض أتباع هذا الشيخ كأن يقول: عصاي هذه خير من محمد، لأنه ينتفع بها في قتل الحية، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش ومضى ".
هذا هو الكلام الذي يهتز منه العرش وتتفطر السماوات، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا.. وإذا كانت العصا خيرا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا يجب حبه وطاعته، والإيمان به؟. ولماذا نكرر الصلوات والتحيات عليه في الصلوات الخمس، ويقرن اسمه باسم الله على المآذن والمنابر، ويحتج بقوله في كل علم وفن؟. وبالتالي، فأي معنى لقوله جل وعز: " لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجرا عظيما - الفتح ١٠ " (١).
وأيضا أي معنى لقوله تعالى: " إن الله وملائكته يصلون

---

(١) تعزروا النبي أي تنصرونه، وتوقرونه أي تعظمونه، وتسبحوه بكرة وأصيلا أي تذكرونه في تسبيحكم وصلواتكم بالتحيات.

على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ".
" ومنها ": أن لا يتطير ولا يتشاءم. (فتح المجيد ص ٣٠٥ وما بعدها.
" ومنها ": أن لا يعمل عملا للدنيا كالمدح والثناء. (فتح المجيد ص ٣٧٢ وما بعدها).
إن ترك هذه الأمور، وما إليها يتصل اتصالا وثيقا بمفهوم التوحيد، ومن فعلها فهل مشرك يحل دمه وماله وذراريه، سواء أفعلها عن علم بتحريمها، أو جهلا واشتباها، لأن فعلها يفضي إلى تكذيب الرسول، وإن لم يتعمد الفاعل منكرا. (الرسائل العملية التسع ص ٧٩). وليس من شك أنك قد لاحظت أيها القارئ أنهم عدوا عدم زيارة النبي وطلب الشفاعة منه شرطا في التوحيد، ولم يعدوا قتل النفس المحترمة ولا الزنا ولا اكتناز الذهب من منافيات التوحيد والإيمان.
وبعد، فإن ما ذكرناه من الشواهد والأرقام يعطي الصورة الوافية للفهم الوهابي للتوحيد والإسلام، والنزعة المتعصبة ضد الإنسانية، وضد رسالة محمد التي تنظر إلى البشرية نظرة حب ورحمة تتسع للقريب والبعيد في كل عصر وجيل.
الوهابية أو السيف
إن المبدأ الأول للوهابية، وشعارهم الوحيد: " أما

الوهابية، وأما السيف " فمن اعتنقها سلم، ومن أبى أبيح دمه، وذبحت أطفاله، ونهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوهابي إلى غيره إلا بهذه العين المكفرة المستحلة للأرواح والأموال.. قال الشيخ سليمان عبد الوهاب أخو محمد عبد الوهاب في كتاب " الصواعق الإلهية " ص ٢٧ و ٢٩ طبعه ١٣٠٦ ه مخاطبا الوهابية: " فأنتم تكفرون بأقل القليل من الكفر، بل تكفرون بما تظنون أنتم أنه كفر، بكل تكفرون بصريح الإسلام، بل تكفرون من توقف عن تكفير من كفرتموه ".

ولندع جميع ما قيل عن الوهابية، وننظر إلى كتبهم، وما خطوه بأيديهم، كما فعلنا فيما تقدم، قال محمد عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية في رسالة " كشف الشبهات " المطبوعة مع غيرها في كتاب الرسائل العملية التسع ص ١٢٣ طبعة ١٩٥٧: " ولا تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادات، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم من مخالفة الشرع ".

هكذا ينبغي أن تكون الأخوة والمحبة والرحمة.. لله درك أيها الشيخ لقد مثلت التسامح الإسلامي حتى كدنا نتوهم أن هذه الآية: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " نزلت فيك.. أستغفر الله.

وقال في صفحة ١١٠: " وإن قالوا: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا رسول الله لا

يملك لنفسه نفعا ولا ضررا، ولكن الصالحين لهم جاه عند الله، وأنا أطلب من الله بهم، فجاوبه إن الذين قاتلهم رسول الله مقرون بما ذكرت، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة ". أي أن من يطلب الشفاعة من محمد تماما كمن يطلبها من الأوثان سواء بسواء.. هذا هو التحقيق الدقيق، والإيمان العميق..

وأيضا قال محمد عبد الوهاب مؤسس المذهب في ص ١١٧ و ١١٨: " وإذا قالوا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟. فالجواب أن الرجل إذا صدق رسول الله في شئ، وكذبه في شئ فهو كافر لم يدخل في الإسلام ".

وهكذا يدخل هذا الشيخ في كفره من يشاء، ويخرج من الإسلام من يشاء، حتى كأن الله سبحانه قد جعل في يده إيمان العباد وعقيدتهم، لا في قلوبهم وعقولهم.. ولا أدري ماذا أراد بقوله: إذا صدق الرجل محمدا في شئ، وكذبه في شئ فهو كافر.. لأن من صدق رسالة محمد يصدقه في كل شئ، لا في شئ دون شئ.. وقد أدرك هذه الحقيقة مشركو قريش حين كتب النبي في صلح الحديبية: " هذا ما صالح عليه محمد رسول الله " فقال له المشركون: لئن كنت رسول الله، ثم قاتلناك، فقد ظلمناك، أدرك هذه الحقيقة المشركون، ولم يدركها محمد عبد الوهاب.. لماذا؟

لأنه هو قد آمن ببعض ما جاء به محمد، وكفر ببعض..
وجاء في كتاب تطهير الإعتقاد ص ٣٥ و ٣٦: " يجب أن يدعى هؤلاء إلى التوبة، والرجوع إلى التوحيد – أي إلى الوهابية – فمن رجع منهم حقن دمه وماله وذراريه، ومن أصر أباح الله منه ما أباح لرسول الله من المشركين ".
وفي كتا فتح المجيد ص ٤٩١: القتل لمن عاند ولم يتب من الخوارج والقدرية..
عجيب أمر هؤلاء الوهابية.. يبيحون الدماء، حتى كأنها شربة ماء.. " ومن أصر أباح الله دمه وماله وذراريه " ولا أدري: هل هذا تقى وزهد، أو فهم ووعي، أو حب وتسامح، أو نتيجة طبيعية لحقدهم على البشرية بعامة، والمسلمين بخاصة، أو إنهم طبيعة أخرى منفصلة عن الإنسان وحقيقته؟..
وفي صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الكتاب: " إذا قال الكافر: لا إله إلا الله حقن دمه وماله، حتى يثبت العكس، أما غيرهم – أي المسمون – فلا تنفعهم كلمة لا إله إلا الله كما أنها لم تنفع الخوارج على عبادتهم.. فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها، لارتكابه ما يخالفها " أرأيت إلى هذا المنطق.
كلمة التوحيد تنفع الكافر، حتى يثبت العكس.
ولا تنفع المسلم بحال؟، وإنما الذي ينفع الإساءة إلى الله في عرشه، وإلى محمد في قبره، الذي ينفع هدم قبور آل الرسول، وتشبيهه بالعصا والأوثان.. والذي يجدي هو

إباحة الدماء، وسبي النساء، ونهب الأموال، وإشاعة الخوف والفوضى، والفساد في الأرض باسم الدين والسماء، قال الله جل وعز:
" ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ". وقال:
الوهابية: بل تباح دماؤهم وتسبى ذراريهم وتنهب أموالهم..
وبعد، فهل من شاهد أصدق من هذا على أن مبدأهم وشعارهم: " الوهابية، أو السيف للرجال والنساء والأطفال، والنهب للأموال "؟..
يقول الشيوعيون: " إن الدين هو التميمة السماوية لمجتمع جاهل مضطهد، يحفظ مع ذلك بشئ من سوء النية، ثم يبرر الشر والفساد بالوحي من السماء ".
وهذا القول لا ينطبق على أية عقيدة دينية إلا عقيدة الوهابية. حرية العقيدة
إن عقيدة الوهابية تحتم الضغط على كل إنسان، بخاصة المسلم وأن يترك رأيه إلى رأيهم، واجتهاده إلى فهمهم، وإلا حل ماله، واستبيح دمه، ودم أهله وعياله الوهابية أو السيف -. وقد نصت المادة الثامنة عشرة من قانون حقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة في الأمم المتحدة، نصت

هذه المادة على أن " كل إنسان الحق في حرية الدين والعقيدة، والتعبير عنهما بالقول والفعل ".
وسواء أقرت الأمم المتحدة هذا الحق، أم أنكرته، فإن الحرية تتصل بإنسانية الإنسان، وبطبيعته مباشرة، فحرمانه منها معناه حرمانه من حياته وأصل وجوده..
ولذا حرص الإسلام عليها، ولم يدع وسيلة لأحد من وسائل الضغط والإجبار على الإيمان بشئ لم يصل إليه بقلبه، ولا بعقله.
لذا دعا إلى النظر المستقل، والتفكير الحر، قال عز من قائل: " انظروا ماذا في السماوات والأرض.. وفي أنفسكم أفلا تنظرون.. قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين.. لا إكراه في الدين.. لست عليهم بمسيطر.. "
إلى غير ذلك من عشرات الآيات، ولا شئ أصح وأوضح في الدلالة على أن أساس الإسلام هو النظر لا التقليد، وأن دعوته تقوم على العقل والفطرة لا السيف والرمح من قوله: " لا إكراه في الدين ". هذا هو الحق والعدل، وهذا هو الوجدان والعقل، فما دمت لا ترضى بأن يكرهك أحد على دينه، فكيف تكرهه أنت على دينك؟.. حتى الله تبارك وتعالى لم يحمل الناس قسرا على طاعته وعبادته، " ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون – الأنعام ١١٢ " وإذا

عطفنا هذه الآية على آية لا إكراه في الدين، وآية لست عليهم بمسيطر، وآية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، إذا عطفنا هذه الآيات وما إليها بعضها على بعض علمنا أن قول الرسول: أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله..
المراد منه الذين يقاتلونه، ويسعون في الأرض فسادا، ويؤكد هذا المعنى الآية ١٩٣ من سورة البقرة: " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة " بل إن القرآن رخص للمسلمين أن يحسنوا ويكرموا من لم يقاتلهم في الدين، ولم يعتد على الأرواح والأموال: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ". الشرك
من تحصيل الحاصل، وتوضيح الواضح القول: إن الشرك هو أن يدعو الإنسان مع الله إلها آخر، بحيث إذا قيل له: لا إله إلا الله نفر واستكبر، كما في الآية ٣٥ من الصافات: " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " والآية ٥ من سورة ص: " اجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب ". وذكرنا في فصل المسلم والكافر طرفا من الأحاديث فلا نعيد.
فأين الأحراز والتمائم، واستعمال الرقي والتعاويذ والتطير والتشاؤم، وزيادة القبور والصلاة عندها، والتمسح بها،

والتعمير عليها، والحلف بغير الله، وما إلى ذاك مما كفر الوهابيون به جميع المسلمين؟..
وعلى افتراض أن هذه الأمور من المحرمات فإنها من الفروع التي لا تمت إلى التوحيد والأصول بسبب قريب ولا بعيد، وفعلها لا يوجب الكفر ولا الارتداد، بل ولا الحد، ولو أوجب الكفر لما وجد على وجه الأرض مسلم.
والآن نوجه هذه الأسئلة إلى الوهابيين: قلتم: أن تعمير القبور والتمسح بها، والطواف حولها، والصلاة لله عندها شرك، بل قلتم: إن من شك وتوقف عن تكفير من كفرتم فهو كافر، وإن لم يتعمد المنكر، بل توقف تورعا واحتياطا.. ولم تستثنوا قبرا واحدا من وجوب الهدم، حتى قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. إذن، لماذا هدمتم قبور الأئمة الأطهار في البقيع، وتركتم قبره الشريف؟.
لماذا وقفتم " بالإصلاح " في منتصف الطريق؟.. يقول حفيد محمد عبد الوهاب في فتح المجيد ٢٤٢: " إن عكوف الناس على قبور الأنبياء أعظم، واتخاذها مساجد أشد ". وعليه فقبر الرسول أولى بالهدم، لأنه الأصل، وقبور الآل فرع. ثم لماذا تمنعون الناس من التمسح بقبره، وتحيطونه بسياج من الشرطة يمنعونه من الدنو منه، وتدعونهم يطوفون حوله، ما دام كل من التمسح والطواف محرما، وربما كان الطواف أشد؟.
ثم إن مسجد الرسول الحالي قائم على قبره وقبر أبي بكر

وعمر، إن جزء منه قائم على هذه القبور، فإن الوليد بن عبد الملك هدم المسجد الذي كان على عهد الرسول، وأدخل فيه بيوت أزواجه، ومنها بيت عائشة الذي فيه القبور الثلاثة، فصارت هذه القبور ضمن المسجد الموجود الآن، إذن، القسم الذي ضم هذه القبور ليس جزء من مسجد الرسول، لأنه قد حدث بعده، وعلى مذهبكم يجب هدم هذا الجزء الحادث، مع أنكم تقيمون الصلاة جماعة في تمام المسجد الحالي، أي أن كثيرا من المؤتمين بكم يصلون في الجزء الحادث الذي فيه القبور، وقد صرح أئمتكم بأنه لا تجوز الصلاة في مسجد بني على قبر، لأن ذلك يفضي إلى الشرك على حد تعبير ابن تيمية في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠٤، بل لا تجوز الصلاة فريضة في مسجد بني بين القبور، لا عليها كما قال حفيد محمد عبد الوهاب في فتح المجيد ص ٢٤٣. وإذا لم تجز الصلاة في مسجد بين
القبور، فيكف فسحتم المجال لمن يأتي بكم في مسجد، أو في جزء من مسجد توجد القبور في قلبه ووسطه، مع أن ذلك يفضي إلى الشرك بزعمكم؟. وأي فرق بين أن تصلوا أنتم في هذا الجزء، أو ترضوا بالصلاة فيه، بل تكونوا أئمة لمن صلى فيه؟..
أليس معنى هذا أنكم من الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما ينكرون، ويكفرون الناس بما يرتكبون؟..

وكل شئ جائز على منطق الوهابيين.. عباقرة تكفير الأمة.. ونوابغ تشتيت شملها، وتفتيت وحدتها.. وسؤال آخر لا أخير نوجهه إليكم - أيها الوهابيون نوجهه للاستفهام لا للتعجيز، ولتقارنوا وتوازنوا بين آرائكم بعضها مع بعض،
وهذا هو السؤال: هل عمارة القبور وإقامة المساجد عليها أعظم إثما عند الله، أو تكفير من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإباحة دمه وماله وذراريه؟.
وبالتالي، فإن المسلمين إذا يعظمون النبي، ويتوسلون به إلى الله، ويطلبون منه الشفاعة فإنما يفعلون ذلك من باب أنه وسيلة لا غاية، وطريق لا هدف، وبهذا يحصل التوازن والتعادل بين الإيمان بالله كمبدي الخلق ومعيده، وبين الإيمان بمحمد كنبي مقرب، وشفيع مشفع. الشيعة والمناجاة عند قبور الأئمة:
لو اطلع الوهابيون على ما يدعو به الشيعة عند قبور أئمتهم لأدركوا أن زيارتهم لها هي التوحيد في واقعه، والإخلاص في حقيقته، لو سمع الوهابيون تلك الأصوات، ووعوا تلك الكلمات التي تتردد حول قبر أمير المؤمنين علي، وولده الإمام الحسين لتأكدوا أنها عين التنزيه عن الشرك، ونفس الإيمان بالله وحده. وإليك أمثلة من ذلك الكلم الطيب:
فمن أدعية الصحيفة السجادية التي يرددها الشيعة صباح

مساء عند قبور الأئمة الأطهار وفي كل مكان: " إلهي من حاول سد حاجته من عندك فقد طلب حاجته في مظانها، وأتى طلبته من جهتها، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان، واستحق من عندك فوات الإحسان ".

ومن دعاء آخر: " إلهي لا تخيب من لا يجد مطمعا غيرك، ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك ".

ومن دعاء ثالث: " اللهم إن صرفت عني وجهك الكريم، أو منعتني فضلك الجسيم، أو خطرت علي رزقك، أو قطعت عني سببك لم أجد السبيل إلى شئ من أملي غيرك، ولم أقدر على ما عندك بمعونة سواك ".

ومن رابع: " إلهي خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلا لك، وضاع الملمون إلا بك، وأجذب المنتجعون إلا من أنتجع فضلك ". ومن خامس: " تباركت وتعاليت لا إله إلا أنت صدقت رسلك، وآمنت بكتابك، وكفرت بك معبود سواك، وبرئت ممن عبد غيرك " إلى ما لا يحصى من هذا التنزيه عن كل شبية.

فأين عبادة الوهابين، وتوحيد المكفرين من هذا الإعتصام والانقطاع والزهد، والتنزيه النزيه، والعبادة التقية النقية؟. وهل ينطق بهذا إلا من سمى عقله، وصفا قلبه، واختلط التوحيد بلحمه ودمه؟. هل يصدر هذا الكلم الطيب عن نفس فيها شائبة لغير الواحد الأحد؟. وهل من عبادة تستهدف

العلي الأعلى كما تستهدفه هذه المناجاة: " خاب الوافدون على غيرك، واجذب المنتجعون إلا من أنتجع فضلك "؟. وهل يصدق وينطبق على من اعتصم بالله بهذه العبادة والمناجاة، هل ينطبق عليه قول ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩١ إن الرافضة أبعد الناس عن التوحيد وقول محمد عبد الوهاب في كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد ص ٢٤٣: وبسبب الرافضة حدث الشرك، وقول الصنعاني في تطهير الإعتقاد ص ٣١: " يطلبون من الميت ما لا يطلب إلا من الله "؟.

إ الشيعة لا يزورون أئمة البقيع إلا ليرددوا هذه المناجاة التي ناجى بها الإمام زين العابدين العليم القدير، ولا يزورون مقام علي أمير المؤمنين إلا لتمتلئ نفوسهم بقوله: " عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ". ولا يزورون مشهد ولده سيد الشهداء في كربلاء إلا لينقطعوا إلى الله، ويعرضوا عن كل ما سواه من مال وجاه وحطام مخاطبين الله بقول أبي عبد الله: الحسين " ماذا وجد من فقدك؟. وما الذي فقد من وجدك؟. "

فأين الشرك والإلحاد الذي زعم الوهابيون أن زيارة القبور تفضي إليه؟..

كلا، لا شرك في زيارة قبر الرسول وآله، وإنما الشرك فيما قاله الصنعاني في آخر كتاب تطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد وهذا نصه بالحرف: " السحر أمر مقطوع به، وله تأثير

عظيم في الأفعال، كان في الهند رجل يقطع الولد عضوا عضوا، ويرمي بكل عضو إلى جهة، ثم يرد الأعضاء، ويعود الولد حيا، وكان في العراق رجل يفصل رأس الإنسان عن جسده، ثم يرده كما كان، وكانت في القديم امرأة تلقي القمح في الأرض، وتقول له: اطلع فيطلع، ثم تقول له: أيبس فيبس، ثم تقول له: اطحن، فيصير طحينا، ثم تقول له: أخبز، فيصير خبزا، وكانت لا تريد شيئا إلا كان " (١).

يعتقد الوهابية أن الساحر المنافق المشعوذ يقول للشئ كن فيكون، تماما كرب العزة، ومع ذلك هم وحدهم المؤمنون الموحدون، أما من يتقرب إلى الله بزيارة قبر الرسول، وآله الكرام فمشرك..

بقي ملحوظة، وهي أن التوحيد الحق، والإخلاص لله في العبادة إنما يتحققان، ويوجدان، حيث توجد العدالة الاجتماعية، وحيث يعمل الإنسان لعون أخيه الإنسان، ويحب له ما يحبه لنفسه، أما حيث يعيش هو في الترف والبذخ، ويغرق أخوه بالشقاء والمحن، فلا توحيد، ولا إيمان، ولا إسلام، بل رياء ونفاق، وفساد وضلال.

ملحوظة ثانية: لقد هدم السعوديون قبور آل الرسول،

---

(١) حين اجتمعت برئيس قضاة الوهابية في مكة الشيخ سليمان بن عبيد قلت له: سأكتب عن عقيدتكم، فارشدني إلى الكتب المعتبرة عندكم. فأسمى لي عددا، منها تطهير الإعتقاد للصنعاني. فلزمتهم الحجة إذن.

ومع ذلك بقيت السعودية تسير في مؤخرة الركب في شتى الميادين، ولم تتقدم خطوة إلى الإمام.. إذن، سر التأخر والتقهقر لا يكمن في تعمير القبور، ولا في إقامة المساجد عليها، بل السر كل السر يكمن في الجهل وفساد الأوضاع، وفي الدكتاتورية والإسراف، وفي الأفكار الضيقة المغلقة التي لا تتفتح لثمرات المعقول.

ملحوظة ثالثة: لقد غالى الخوارج بتكفير من كفروا، وغالى من أحرقهم الإمام في تأليهه، وغالى الوهابيون في تكفير الأمة.. وبديهة أن الغلو لعنة وطغيان يفسد العقيدة ويضلل العقل، بل ويفسد الحياة، لأنها لا تقوم على الجذب وحده، ولا على الدفع وحده، بل على التعادل بينها والتوازن، وكذلك تكفير المسلم فساد، وتأليهه أفسد، والعدل هو الوسط.

ملحوظة رابعة: أوجبوا هدم القبور، وحرموا الخروج على الحاكم الجائر، والمستبد الفاسد، وأوجبوا طاعته والاستماع له.

وملحوظة خامسة: أي فرق بين من يكتب وثيقة بحرمان الإنسان من الدين، ورحمة الله، كما تفعل الكنيسة، وبين من يصدر حكمه عليه بالتكفير؟. وأيهما أسوء وأفظع؟. تدرأ الحدود بالشبهات:

من المعلوم بنص الكتاب والسنة، وبالإجماع، وضرورة العقل، وباتفاق الشرائع قديمها وحديثها أن كلا من الجهل

والخطأ والنسيان والإكراه عذر تحقن معه الدماء، وتحفظ الأرواح، وإن من خالف بسبب من هذه الأسباب لا يكون كافرا ولا مرتدا، حتى ولو حصل منه ذلك عن تفريط وتقصير فيما يعود إلى الفروع، وإن كان آثما، لترك التحفظ، وما وجب عليه من البحث والاحتراز، بل حتى لو ثبت الحكم الفرعي بدليل قاطع وإجماع جامع، وعلم بضرورة الدين والمذهب، إذا كان الجهل والالتباس ممكنا في حقه، وجائزا على مثله، ومن هنا كان علماء المسلمين، وما زالوا يختلفون، ويخطئ بعضهم بعضا بدون تفكير، وإن منهم من خالف المذاهب الأربعة مجتمعة، ومع ذلك لم يكفره أحد.

بل كل فرقة من فرق المسلمين التي بلغت ثلاثة وسبعين، كما جاء في الحديث، أن كل واحدة من هذه الفرق تدعي أنها هي الناجية دون غيرها، وأن الاثنتين والسبعين هالكة غدا قضها وقضيضها إلا هي، ومع ذلك لم تحكم عليها بالكفر، ولم تبح قطرة واحدة من دمائها، أو تستحل عقالا من مالها، ما دامت تقول: لا إله إلا الله محمد سول الله غير معاندة، ولا جاحدة لما ثبت عندها، ولم تقم لديها الحجة بصدوده عن الرسول الأعظم، وبهذا يتبين أن أمة محمد مجمعة على أن الارتداد لا يتحقق، ولن يتحقق إلا ممن أيقن وتيقن بصدور الحكم عن صاحب الشرع، ثم جحده عنادا أو وتعصبا.

أما من رأي المحرم مباحا لشبهة، ولو ضعيفة، دخلت

عليه، لعدم وصول النص إليه، أو لإجماله، أو معارضته بغيره، أو لاشتباه الموضوع في الخارج، أو لمرض في فهمه، أما هذا فمعذور بالجهل، كما أن المخطئ معذور بالخطأ، والمكره بالإكراه، بل ومأجور أيضا إذا بحث واجتهد.

ومعلوم أن الذين أباحوا البناء على القبور، وزيارتها، والصلاة لله عندها لم يثبت التحريم عندهم، بل ثبت الجواز بل الرجحان، وعليه يكون الحكم عليهم بالكفر هو الكفر بعينه، فلقد جاء في البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبها، وإن من قذف مؤمنا بالكفر فهو كمن قتله. صفات الله:

يحمد الوهابيون على ظاهر نصوص الكتاب والسنة في صفات الله سبحانه، ولم يجيزوا تفسير الظواهر وتأويلها بغير ما دلت عليه الصورة الحرفية، بل يعتبرون التأويل كفر، لأنه كذب على الله والرسول، ويرون تنزيه الله بإثبات اليد له والرجل، والكف والأصابع، والنفس والوجه، والعين والسمع، والجلوس والوقوف، والضحك والتكلم، والوجود في السماء، وما إلى هذه من الصفات التي وصف الله بها نفسه، أو جاءت على لسان نبيه من غير زيادة ولا نقصان، ولا تأويل بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين.

واستدلوا على اليدين بقوله تعالى: " بل يداه مبسوطتان " وعلى العينين أو العيون: " واصنع الفلك بأعيننا ". وعلى الجلوس: " ثم استوى على العرش ". وعلى الوجود في السماء: " أأمنتم من في السماء ". وعلى الوجه: " فثم وجه الله ". وعلى السمع والعين: " هو السميع البصير ". وعلى النظر إليه: " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ". وعلى السير والمجئ: " وجاء ربك والملك صفا صفا ". وعلى النفس " تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ". وعلى الضحك بما رواه ابن تيمية في كتاب الإيمان ص ٢٣٠: " إن الله ضحك إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة.. وأيضا قد ضحك حين دخل آخر رجل إلى الجنة، فقال له الرجل: أتسخر بي، وأنت رب العالمين؟. "

واستدلوا على الرجل بما رواه ابن تيمية أيضا في الرسالة الواسطية الموجودة في كتاب الرسائل التسع ص ١٣٦: " لا تزال جهنم يلقى فيها، وهي تقول: هل من مزيد؟. حتى يضع رب العزة فيها رجله، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط ".

واستدلوا على وجود الأصابع بما رواه محمد عبد الوهاب في آخر كتاب التوحيد: " إن الله جعل السماوات على إصبع من أصابعه، والأرض على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع.. ثم اعتز الله وافتخر، وقال: أنا الملك، أنا الله. أين الجبارون؟ أين

المتكبرون؟. فالله يحمل السماوات السبع والأرضين السبع في يده، وهي فيها كحبة خردل في يد أحدنا، وهذا معنى قوله تعالى: " والأرض جميعا في قبضته يوم القيامة " . ملاحظة:

ويلاحظ أولا: أن المعروف من طريقة العرب أنهم يستعملون الألفاظ في معانيها المجازية أكثر مما يستعملونها في المعاني الحقيقية، ومن المعلوم بالبديهية أن الكتاب والسنة منزلان على كلام العرب وطريقتهم في الخطابات والمحاورات: " أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ". وإذا أبقينا جميع ألفاظ الكتاب على ظاهرها فبماذا نفسر قوله تعالى: " واسأل القرية التي كنا فيها والعير " وقوله: " واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا؟ " هل نفسره بأن المطلوب توجيه السؤال إلى الحيوان والأحجار والأموات؟. وإذا ساغ لنا تفسير هذه الآية تبعا للواقع بالمعاني المجازية التي لم تدل عليها الصورة اللفظية، والدلالة المطابقية.. جاز ذلك في غيرها نبعا للواقع، والفرق تحكم، وما أوسع هذا الباب وأكثر هذا النوع في كلام الله ورسوله.

ثانيا: أن الوهابية ومن إليهم وقعوا في أشد مما فروا منه، لقد فروا من التأويل، فوقعوا في الإسراف والتعسف، وهربوا من القول بالرأي إلى القول بالجهل، والرجم بالغيب.. ذلك أنهم زعموا أن يد الله وكفه، وعينه وأذنه الخ لا تشبه

أعضائنا هذه في شئ فرارا من مشكلة التشبيه، وبديهة أن اليد ظاهرة في هذا العضو المعروف، وهو لا ينفك عن المادة بحال، وكذلك العين والسمع، وما إليهما، فإن أبقينا اللفظ على ظاهره يلزم أن يكون الله جسما، كسائر الأجسام، وهم لا يلتزمون به، وإن صرفناه إلى غير هذه اليد والعين والسمع يلزم التأويل، وقد فروا منه، وإن حملناه على معنى مجهول عند السامع والمخاطب، وذلك بأن تكون له يد لا كالأيدي، وعين لا كالأعين على حد تعبيرهم وقعوا في التعسف، وهو أشد سوء من التأويل، وبكلمة إن أبقوا اللفظ على ظاهره جاءت مشكلة التجسيم، وإن حملوه على معنة مجهول جاء التعسف..

فتعين تأويل اللفظ تأويلا معقولا بحمله على معنى يتلاءم مع جلال الله وعظمته على أن تتحمله الصورة اللفظية، ولا يأباه الذوق السليم، كحمل اليد على القدرة، لأنها مظهر لها، والسمع والبصر على العلم، لأنهما سبيلان إليه، وحمل الوجه على الظهور، لأنه المعنى البارز، والاستواء على الاستيلاء، ورؤية الله على رؤيته بالبصيرة لا بالبصر، لأن كلا منهما طريق إلى المعرفة، إلى آخر ما ذكره المفسرون وعلماء المعاني والبيان.

تذكرت الآن ما نقل عن بعض المستشرقين من أنه ترجم اللباس " بالبنطلون " في قوله تعالى: " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ".

ومهما يكن، فإذا خالفنا الوهابية في عدم جواز التأويل من حيث هو، وقلنا به حيث تدعو الحاجة إليه فإنا نتفق معهم كل الاتفاق في السكوت والأعراض عن النزاع القائم بين الأشاعرة والمعتزلة من أن صفات الباري: هل هي عين ذاته أو غيرها، لأن هذا النزاع يرجع في حقيقته إلى النزاع في ذات الباري جل وعلا، وهذا موضوع شائك جدا أحجم عنه الأنبياء والمرسلون، قال علي أمير المؤمنين: " تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله " نقول هذا مع العلم بأن قول الوهابية ومن إليهم يلتقي مع قول الأشاعرة بأن الصفات غير الذات، إلا أنهم قد أحسنوا بالسكوت عن ذلك. الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر هو الإعتقاد بأن الخير والشر من الله، ويعد الوهابية هذا الأصل من أصول الإسلام، وهي عندهم ستة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت على المستطيع، والإيمان بالقدر خيره وشره. وعليه يكون الإنسان مسيرا غير مخير.

وقال ابن تيمية في رسالة العقيدة الواسطية ص ١٤٤ من الرسائل التسع: " العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم.. وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم، ومع ذلك فقد أمرهم بالطاعة،

ونهاهم عن المعصية ".
وقد حالت كثيرا، وفكرت أكثر لأفهم وأهضم هذا الكلام فلم أستطع له فهما ولا هضما لمكان التناقض والتضارب، فإن كلام ابن تيمية ظاهر في أن الله خالق أفعال الإنسان، وغير خالقها، والإنسان موجود لأفعاله، وغير موجدها اللهم إلا أن يقال: إنهما اشتركا في الخلق والإيجاد، وحينئذ يأتي إشكال أن أحد الشركين إذا كان أقوى من الآخرين قبح أن يعاقب الضعيف فيما اشتركا فيه.
والحق في هذه المسألة التي شغلت الأولين والآخرين ما قاله الإمام جعفر الصادق، وعبر عنه بقوله: " لا جبر ولا تفويض، وإنما أمر بين الأمرين " ويتلخص معنى هذه الجملة الكبيرة في معناها، الصغيرة في مبناها أن الله سبحانه أقدر العبد على فعل الخير والشر، ثم أمره بالأول، ونهاه عن الثاني، فإن اختار العبد فعل الخير، وآثره على الشر ينسب فعله هذا إلى الله، لأنه رضي به، وأيضا ينسب إلى العبد، لأنه آثره على الشر، وترك المعصية مع قدرتها عليها، أما إن اختار العبد فعل الشر، وفضله على الخير فينسب إليه وحده، لأنه قد ترك الخير مع قدرته على فعله، وفعل الشر مع قدرته على تركه، ولا ينسب إلى الله، لأنه نهى عنه، ولم يرض به بحال، وعليه يكون الخير من الله والعبد، أما الشر فمن العبد وحده.
وإن قال قائل: لماذا أقدر الله عبده على الشر ما دام لا

يريده منه؟. قلنا في جوابه: لو أن الله سبحانه أقدر عبده على الخير فقط لكان مجبرا عليه، وكان الفعل بالنسبة إليه كالثمر على الشجر، والله سبحانه يريد الطاعة من عباده اختيارا، لا قهرا عنهم.

ولتتضح الفكرة أكثر نذكر هذا المثال: والد أعطى ولده دينارا، وأمره أن يشتري به كتابا، ولا يشرب به خمرا، فامتثل الولد، واشترى الكتاب، فشراء الكتاب ينسب إلى الوالد، لأنه أقدر الولد عليه، ورضي به، وأيضا ينسب إلى الولد، لأنه ترك شرب الخمر مع قدرته على فعله واشترى الكتاب مع قدرته على تركه، أما شرب الخمر فينسب إلى الولد فقط، لأنه ترك ما أمر به مع قدرته على فعله، وفعل ما نهي عنه مع قدرته على تركه، ولا ينسب إلى الوالد، لأنه لم يرض به بحال.

هذا هو رأي الشيعة الإمامية. الذين ينعتهم ابن تيمية وأتباعه بالشرك، ويستحل هو وقبيله منهم الدم والمال والذرية. الأسباب والمسببات:

قال الأشاعرة: ليس في الكون أسباب طبيعية، وجميع المسببات تستند الله مباشرة، فهو الذي يخلق الشبع عند الأكل، والشفاء عند شرب الدواء، ويزيل العطش عند شرب الماء. وقال المعتزلة والإمامية: بل إن في الكون أسبابا طبيعية تستند إليها مسبباتها مباشرة والأسباب الطبيعية تنتهي بالواسطة إلى

الله سبحانه، لأنه مسبب الأسباب.
ويظهر من كلام ابن تيمية أنه يوافق الأشاعرة، حيث قال في كتاب نقص المنطق ص ٣٦: " إن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر، وملائكة موكلة بالهدي والعلم، هذا رزق القلوب وقوتها، وذاك رزق الأجساد وقوتها ".
أما تلميذ ابن القيم فيتفق مع المعتزلة والإمامية في هذا الباب، حيث نقل عنه صاحب فتح المجيد في ص ٦٩ قوله: " لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي
نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدرا وشرعا ". ويشعر هذا النقل بأن الوهابية في ذلك على رأي ابن القيم. مرتكب الكبيرة:
ويعتقد الوهابية أن من ارتكب كبيرة من الموحدين لا يخلد في النار. (فتح المجيد ص ٤٧٩) وهو الحق. أصحاب الرسول:
ويعتقد الوهابية أن جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يوحدون الله، ويجاهدون مع رسول الله، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون ومع ذلك كانوا كفرة بعيدين عن الإسلام كل البعد.
(محمد عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات ص ١٢٠ الرسائل العملية التسع طبعة ١٩٥٧).

الخلفاء الراشدون:
ويعتقد أن الخلفاء الأربعة الراشدين هم صفوة السلف الصالح، وأن التفاضل بينهم يأتي على حسب ترتيبهم في الخلافة.
وعلى هذا يجب أن يكون يزيد بن معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز، لأنه أقدم وأسبق في الوظيفة.. مع أن الملك عبد العزيز قال: أنا اقتدي بعمر بن عبد العزيز، ولم يقل: أنا أقتدي بيزيد، لأنه أسبق (من خطاب ألقاه في عيد الأضحى سنة ١٣٦٥ ه).
والغريب أنهم يروون لعلي بن أبي طالب من الفضائل والمناقب ما لم يرووا بعضه لأحد من الصحابة، حتى للخليفة الأول، ومع ذلك يجعلون الأفضلية على أساس الترتيب في الخلافة..
هذا كتاب التوحيد لمحمد عبد الوهاب، وهو إنجيل الوهابية، لم يذكر فيه المؤلف منقبة واحدة لأحد من الخلفاء أو الصحابة إلا ما قاله النبي في علي يوم خيبر: " لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي؟. " جاءوا كلهم يتلهفون ويطمعون أيهم يعطاها، حتى الأول

والثاني والثالث، ولم يأت علي، ولكن النبي لم يلتفت إليهم، وسأل عن علي وحده.. وكان الواجب - بناء على أن الأفضلية على ترتيب الخلافة - أن يسأل أول ما يسأل عن أبي بكر، فإذا لم يكن فعن عمر، فإذا لم يكن فعن عثمان، فإذا لم يكن فعن علي، لأنه الخليفة الرابع.. يقول النبي: أين علي؟ ويا علي افتح الحصن، وادفع العدو، ولا يقول: يا أبا بكر، وأين أبو بكر؟ ومع ذلك أبو بكر أفضل لا لشئ إلا لأن عليا خاتم الخلفاء الراشدين، وعلى منطقهم هذا ينبغي أن يكون محمد في الفضل دون من تقدمه من الأنبياء، لأنه خاتم النبيين، والمفروض أنه أفضلهم وسيدهم، فكذلك علي خاتم الراشدين وأفضلهم وسيدهم.

ونقل حفيد محمد عبد الوهاب، وهو يشرح كلام جده في فتح المجيد ص ٩٠ عن ابن تيمية أنه قال " إن في حديث لأعطين الراية الخ شهادة من النبي لعلي بإيمانه ظاهرا وباطنا، وإثباتا لموالاته لله تعالى ورسوله، ووجوب موالاة المؤمنين له ".

وأيضا قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية الموجودة في كتاب الرسائل التسع ص ١٤٧: " نحن ممن يحبون أهل بيت رسوله الله، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصيته رسول الله، حيث قال يوم غدير خم: أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي. وقال أيضا لعمه العباس - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: والذي

نفسي بيده لا يؤمنون، حتى يحبوكم لله ولقرابتي. وقال: إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ".

وإذا اصطفى نبيه من بني هاشم، لأنهم الصفوة، فينبغي أن يصطفي خليفته من أهل بيت النبي، لأنهم صفوة الصفوة.. هذا هو منطق العلم والدين، ولكن أين منه من كفر جميع المسلمين؟.. الأحاديث:

ويعتقد الوهابية أن كثيرا من الأحاديث الموجودة موضوعة على لسان الرسول افتراء.

وهذا حق لا ريب فيه. الجاهل غير معذور:

إذا نطق المسلم بكلمة التوحيد مؤمنا، ثم زار القبور جاهلا بالتحريم يكون مشركا، وجهله ليس بعذر عندهم. (كتاب تطهير الإعتقاد ص ٣٥ والرسائل العملية التسع ص ٧٩). وقال صاحب فتح المجيد ص ٤٠٦: " وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم " أي أن من خالف عن جهل يكون مبتدعا، حتى ولو كان جهله عن قصور، لا عن تقصير.

الاجتهاد والتقليد:
قال الوهابية: لا يجوز لأحد أن يقلد واحدا من أئمة المذاهب الأربعة، ولا غيرهم مع وجود النص، ويجوز تقليدهم إذا فقد، واستدلوا على ذلك بأن الأئمة الأربعة أنفسهم لا يجيزون التقليد، وبأن أبا حنيفة ومالكا والشافعي وابن حنبل قد جهلوا الكثير من أحكام الشريعة، قال صاحب فتح المجيد ص ٣٨٨: " والأئمة نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة لعلمهم أن من العلم شيئا لم يعلموه، وقد بلغه غيرهم، وذلك كثير ".
ولهذا لا يقلد الوهابية ابن حنبل ولا غيره مع وجود النص، ويقلدونه فيما لا نص فيه، أي أن أقوال ابن حنبل عندهم أصل قائم بنفسه يرجعون إليه إذا أعوزهم الدليل من الكتاب والسنة، تماما كالقياس عند السنة، والعقل عند الشيعة.. إذن، هم مجتهدون ومقلدون في آن واحد، يجتهدون في استخراج الحكم من النص، وفي تقوية الحديث وتضعيفه، ويلجأون إلى ابن حنبل مع عدم النص، قال الملك عبد العزيز في خطاب ألقاء بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥ ه: " ومذهبنا هو اتباع الدليل، حيث يكون، فإن فقد الدليل، ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا اجتهاد أحمد بن حنبل ".
ويلاحظ بأن أي إنسان لا يستطيع استخراج الحكم من النص إلا إذا انتهى بعلمه إلى رتبة الاجتهاد، ولا يبلغ هذه الرتبة إلا من توافرت فيه المؤهلات لتمييز المعاني الحقيقية

من المجازية، والمنطوق من المفهوم، والمجمل من المبين، والناسخ من المنسوخ، والعام
من الخاص، والمطلق من المقيد، والخبر الصحيح من الضعيف، والمعارض من السالم، وعرف عملية العلاج بين المتعارضين، وموارد إجماع العلماء، واختلافاتهم، فإذا تهيأ كل ذلك استطاع أن يجتهد ويخرج الحكم من النص، ووجب عليه أن يعمل بفهمه واجتهاده مصيبا كان في الواقع أو مخطئا، ما دام جاهلا بمكان الخطأ، وهو في الوقت نفسه يستطيع أن يستخرج الحكم من الأصل العام الذي دل على اعتباره النص القطعي، أو العقل الفطري، مع عدم النص، ومن عجز عن الاجتهاد، واستخراج الحكم من الأصل العام مع عدم النص، فهو عن فهم النص واستخراج الحكم منه مع وجوده أعجز أو مثله في الضعف والعجز.

وبكلمة أما أن يكون هذا مجتهدا، وأما غير مجتهد، فإن كان مجتهدا جامعا لشروط الاجتهاد حرم عليه التقليد إطلاقا، وجد النص أو لم يوجد، لأن من عرف الحق من دليله لا يجوز له أن يقلد فيه، بل يكون من هذه الجهة كأحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة، وإن لم تتوافر فيه شروط الاجتهاد وجب عليه تقليد المجتهد " واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ".

وعلى هذا يكون قول الوهابية بوجوب الاجتهاد مع وجود النص، وتحريمه مع عدمه تخصيصا بلا مخصص،

وتقييدا في مورد الاطلاق، بل تجزئة وتقسيما للشئ إلى نفسه وإلى غيره. كرامات الأولياء:

ويعتقد الوهابية بكرامات الأولياء " وأن الله يجري على أيديهم خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات " (١). (الرسائل العملية التسع ص ١٤٩).

ومعنى هذا أن المؤمن الصالح يستطيع بالدعاء أن يعلم الغيب، وأن يرى، وهو في المشرق من في المغرب، ويسمع، وهو في المغرب من يتكلم في المشرق، وأنه يمشي على الماء، تماما كما يمشي على اليابسة، ويطير في الهواء كالغراب، بل يستطيع أن يجفف البحار والأنهار، ويغرق الأرض كلها بالطوفان.. يفعل ذلك، وأكثر من ذلك بمجرد الدعاء وبالتلفظ بكلمة أو بضع كلمات لا بتوسط علم وآلات.

ولست بصدد صحة هذا القول أو بطلانه، ولكن لدي سؤال واحد أود أن أوجهه إلى الوهابيين على مقياسهم هذا،

---

(١) نسبت الإيمان إليهم بالكرامات كما جاءت في كتاب الرسالة العملية التسع الذي أرشدني إليه علماء الوهابية فيما أرشدوا حين كنت بالحجاز، ولو لم يكن من مصادرهم الصحيحة لما طبعوه ووزعوه بالمجان، ولكن كلام صاحب فتح القدير يشعر بنفي الكرامات.

لا على مقايسي أنا (١) وهذا هو السؤال: إذا كان للولي هذه الكرامة والمقدرة، فهل يجوز لنا أن نطلب منه الدعاء بالخير والهداية إلى الحق، تماما كما نطلب العلم من العالم، والدواء من الطبيب؟. وعلى افتراض الجواز فلماذا قلتم من طلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له عند الله فهو مشرك؟. وإن قلتم: لا يجوز طلب الدعاء بالخير والتوفيق من الولي، قلنا: إذن لا خير عند الولي ولا كرامة.

السحر:

ويعتقد الوهابية بالسحر والساحر، وتعلم السحر عندهم سهل للغاية بشرط أن يكفر الإنسان، ويأتي بأعظم المعاصي مثل أن يضع المصحف الشريف في كنيف ونحوه والعياذ بالله وقدمنا فيما سبق أمثلة من أقوالهم حين قابلنا بينها، وبين ما يدعو به الشيعة عند قبور الأئمة الأطهار - راجع فقرة الشيعة والمناجاة من هذا الفصل - والآن ننقل ما ذكره الصنعاني كحجة دامغة على اعتقادهم بالسحر، وطريق تعلمه، قال في صفحة ٥١ من كتابة تطهير الإعتقاد من من أدران الإلحاد ما نصه بالحرف الواحد: " قد ثبت في الأحاديث: أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان، وهذا أمر مقطوع بوقوعه، فهم - أي الشياطين

---

(١) الكرامة في اعتقادي هي الصدق والإخلاص.

الثعابين التي يشاهدها الإنسان في أيدي المجاذيب، وقد يكون ذلك من باب السحر، وهو أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه الأعظم: هو الكفر بالله، وإهانة ما عظم الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه، فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيرا عظيما في الأفعال، وهكذا يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها ". ومعنى قوله يقلبون الأعيان بالأسحار أن الساحر يستطيع أن يقلب الإنسان حجرا، والحجر إنسانا.

وبدون حقد، ولا ثورة أعصاب، وبكل لطف وهدوء أدعوك أيها القارئ أن تقرأ ما جاء في هذا الكتاب بالذات الذي ألفه الصنعاني، ليطهر الإعتقاد من أدران الإلحاد، أن تقرأ ما جاء في صفحة ٤٨، وهذا هو: " أن المشاهد والقباب على القبور هي أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام، وخراب بنيانه ".

اقرأ هذا، وقارن بينه وبين قوله: " تعلم السحر سهل يسير، وبابه الكفر، وجعل المصحف في " كذا ".. اقرأ وقارن ين من يعتقد أن في رفع القباب على قبر الرسول وآله الأبرار تعظيما لشعائر الله، وبين من يعتقد بالسحر على الشكل الذي رسمه الصنعاني، وأن سبيل السحر، هي إهانة القرآن على الصورة التي صورها في كتابه، وإن من فعل ذلك يقل للشئ فيكون.. اقرأ وقارن، ثم احكم بعقلك

وفطرتك، وخبرنا عن صورة المشرك التي ارتسمت في خاطرك للوهلة الأولى لأحد الاثنين، وأنت تقرأ وتقارن، وقل لنا: أي الاعتقادين ذريعة للشرك والإلحاد، ووسيلة لهدم الإسلام، وخراب بنيانه؟. وأي الرجلين يجب أن يطهر اعتقاده من أدران الإلحاد؟.. ولكن ما الجدوى من حكمك وشعورك ومن حكم العقل والفطرة، وحكم السماء والأرض ما دام مبدأهم ومنهجهم الأول والأخير هو التكفير، ومن خلاله ينظرون إلي وإليك وإلى الناس أجمعين إلا من تاب وآمن وعمل وهابيا. الأمر بالمعروف:

ويعتقد الوهابية بوجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لورود النص.. وليس من شك أن الأمر بالمعروف واجب، أما بحكم العقل، كما يقول المعتزلة والإمامية، وأما بحكم الشرع، بحيث لو لم ينص عليه الشرع لم يجب، كما يقول الأشاعرة والوهابية، والنتيجة واحدة.

ولكن يلاحظ بأن الوهابية يجيزون الصلاة خلف الفاسق الفاجر، كما جاء في الرسائل العملية التسع ص ١٥٠. وهذا تشجيع للمنكر الذي لا يجتمع مع وجوب النهي عنه. الحاكم الجائر:

يعتقد الحنابلة بما فيهم الوهابية بأنه لا يجوز الخروج على

الحاكم الجائر، والمستبد الفاسد، ويوجبون طاعته والاستماع له، كما جاء في كتاب الأحكام السلطانية، وصاحبه حنبلي المذهب. واستدلوا بقوله تعالى: " أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم ".

وبالمناسبة نذكر ما قاله الملك عبد العزيز في خطبة ألقاها في الطائف بحضور رؤساء البلاد ١٦ المحرم سنة ١٣٥١ ه، قال: " والناس معنا ثلاث: إما محب ومساعد، وإما لا محب ولا مساعد، وإما معاند فقط، والأول له ما لنا، والثاني نسعى جهدنا في إفهامه، أما الثالث فجزاؤه ما جاء في الآية الشريفة: " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا ويصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ".

إذن، أين الحرية والديمقراطية، والعدل والإنصاف؟. وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟. أن الآية الكريمة نزلت في الذين يقطعون الطريق على الناس بالسلب والنهب والقتل، ويخلون بالأمن، ويحولون بين الزارع وحقله، والعامل وعمله، إما معارضة الحاكم، وعدم الاتفاق معه على آرائه كلها، أو جلها فليست جرما تعاقب عليه الشرائع السماوية، ولا الوضعية.. وقد رحب أبو بكر وعمر، وغيرهما كثير من الحكام في القديم والحديث رحبوا بالمعارضين، وأفسحوا لهم المجال

حتى في ميدان العمل لانتزاع الحكم

منهم، ولم يوجبوا قتلهم وصلبهم ونفيهم، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.
أصحاب الذنوب:
قال الخوارج: إن مرتكب الكبيرة كافر يخلد في النار، وقال الأشاعرة والإمامية، بل هو مؤمن عاص، وقال المعتزلة هو في منزلة بين العاصي والكافر.
وأحدث الوهابية قولا رابعا، وهو أن من قال: لا إله إلا الله لا يخلو أن يكون واحدا من اثنين، أما أن يقولها دون أن يشرك بالله شيئا، أي لا يزور قبرا، ولا يبنيه، ولا يصلي عنده لله، ولا ينذر له، ولا يمسه، ولا يتمسح به، ولا يطوف حوله، وأما أن يقولها، ويفعل شيئا من ذلك، والأول لا يسأل عن شئ، ولا يحاسب على شئ، وإن أتى بملئ الأرض ذنوبا.. جاء في فتح المجيد صفحة ٥٤ " إن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، لأنه يتضمن محبة الله وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجاءه وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، النجاسة عارضة، والدافع لها قوي ". وهذا شبيه بما نسب إلى البكداشية من أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة.. والقرآن الكريم يكذبهما معا: " من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ".
أما الثاني، وهو الذي يزور القبور فهو مشرك كافر،

لا يقبل منه عمل ولا صلاة ولا صوم، ولا عمل الحسنات والمبرات.. وليس من شك أنهم يريدون بالموحد الأول الوهابية أنفسهم، وبالثاني جميع المسلمين بدون استثناء، والدليل ما نقلناه عن كتبهم فيما سبق، ونذكر هنا للتأكيد ما قاله صاحب فتح المجيد في ص ١٠١: " كما هو الواقع في هذه الأمة – أي أمة محمد والواقع منهم هو العصيان – وهذا هو الشرك الأكبر المنافي للتوحيد – إلى أن قال فاثبتوا ما نفته كلمة التوحيد، وتركوا ما أثبتته من التوحيد ".

وفي هذا القول، وهذه العقيدة يكمن سر الإهمال والتأخر في السعودية، وتسلط الحكام بدون شورى وانتخاب، وعدم شعورهم بالمسؤولية، واكتنازهم مقدرات الشعب في البنوك والمصارف، إلى جانب البؤس والمرض والجهل، كل ذلك لا بأس به، لأن أمراء الوهابية وشيوخهم يوحدون الله توحيدا " لا يبقى معه ذنب، ولو كان قراب الأرض ".

وبالتالي، فإني أحسب أن التاريخ لم يعرف، ولن يعرف فئة في القسوة والجفوة، والتعصب والجمود كالوهابية، ولا أحدا مثلهم يهتم بالقشور، دون اللباب، وأقدم لك مثلا واحدا وأخيرا يفسر ويوضح جميع ما نقلته عنهم، ويعطي صورة واضحة ودقيقة لجمودهم في الفهم والتفكير، وبعدهم عن روح الإسلام وحقيقته، وهذا هو المثال: يجوز للإنسان أن يقتني المئات والألوف من العبيد والإماء، ولكن لا يجوز له أن يقول ويتلفظ بلسانه: هذا عبدي،

وهذه أمتي، لأن ذلك يتنافى مع التوحيد الخالص الذي لا تضر معه الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر، أما الاستعباد فعلا، والعمل بمدلول اللفظ فجائز، وليس شركا كالتلفظ والتفوه. (رسالة التوحيد).

إن العارفين بالله يعلمون حق العلم أن أفضل العبادات والطاعات هو العمل لخير الإنسان تقربا إليه تعالى، دون أن يبتغي العامل من غيره جل وعز جزاء ولا شكورا، وألف تحية على الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق الذي قال: " إن لله عرشا لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى لأخيه معروفا، أو نفس عنه كربة، أو قضى له حاجة ".

التوحيد والعبادة
من هو صاحب الرسالة:
لا يكون الإنسان صاحب رسالة إلا إذا كان له هدف واضح عام لا يبتغي من ورائه منفعة شخصية، بل يؤمن به ويدين، كمبدأ وعقيدة، ويعمل له، ويضحي في سبيله بكل عزيز، حتى بالروح والمال، ولا يتنازل عنه مهما كان الثمن، بحيث يكون هو الغاية، وكل ما عداه وسيلة له، وأن تكون الخطة إلى تنفيذه معلومة ومحددة بكل دقة.
فإذا لم يكن له هدف واضح، أو كان، ولكن أراد به نفسه، أو لم يرد إلا الخير، ولكنه جهل الوسيلة إليه، أو عرفها، ولكنه لم يعمل، بل اعتمد على الصدفة والقدر، إذا كان شئ من ذلك، ثم ادعاها مدع فهو كاذب، أما عظمة الشخصية وقوتها وصلابتها التي يجب أن يتمتع بها صاحب الرسالة فأمر يعود إلى تنفيذ الرسالة، لا إلى مفهومها وحقيقتها. رسالات خاصة:
وقد وجد بكل عصر واحد أو أكثر توافرت فيه الشروط

التي أشرنا إليها، ويعد بجدارة أنه صاحب رسالة، ولكن الرسالات التي عرفناها كلها، أو جلها تنحصر في نطاق خاص، وتتجه إلى جهة واحدة لا تتعداها، وتستهدف فئة دون فئة، أو أمة دون أمة، وأصحابها تماما كالفلاسفة والعلماء المكتشفين الذين اختص كل واحد بالكشف عن نظرية تنسب إليه. وإليك عددا من أصحاب هذه الرسالات:

فمصدق صاحب رسالة ما في ذلك ريب، ولكن رسالته اتجهت إلى تأميم النفط الإيراني، وشعارها نفط إيران للإيرانيين، والخطة التي رسمها للتأميم هي توليه الحكم، وبرنادشو صاحب رسالة، وتنحصر رسالته في العمل لتحسين المسرح الانكليزي، والخروج به من اللهو والتسلية إلى مدرسة الحياة عن طريق التأليف، ووضع القصص التي تعبر عن شعور الناس وحياتهم ورغباتهم، وبرتراند راسل الانكليزي الفيلسوف المعاصر عمل للسلم عن طريق الكتابة والخطابة والتظاهرات، وغاندي ناضل لتحرير الهنود بعدم التعاون مع الانكليز، ودابنلد دولشي الأديب الإيطالي دعا إلى بناء سد جاتو، وأضرب عن الطعام، إلى أن قررت الحكومة الإيطالية إنشاءه وبناءه، ولو مضينا في سرد الأسماء لملأنا صفحات وصفحات.

الرسالة الشاملة:

لم تستهدف رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عشيرة قريش دون غيرهم

ولا قومه العرب وحدهم، ولا الشرق فقط، بل استهدفت البشرية بكاملها عربها وعجمها في كل زمان ومكان، كما أنها لم تقف عند الحياة الروحية وحدودها، أو المادية وقيودها، أو عند جهة، أو جهات معينة، منهما، بل هي شاملة كاملة، تمتد إلى جميع الجهات بشتى أنواعها وألوانها في حياتنا هذه، وفي الحياة الثانية، بل تصدت إلى تحديد الكون في بدايته ونهايته.. وأن هذا الشمول برسالة محمد يستتبع بطبيعته أمرين يترتبان عليه قهرا:

الأول: أن محمدا رسول من عند الله، إذ يستحيل على بشر أن يقوم بهذه المهمة، أو يجرأ على ادعائها، والتعرض لها من تلقائه، وإن بلغ من العلم ما بلغ، فضلا عن كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، وإن جازف وخاطر وادعى مثل ذلك فمحال أن يكتب له النجاح، ويترك أثرا محمودا.. إن هذه المهمة أو هذه الرسالة الشاملة الكاملة لا تكون ولن تكون إلا ممن أحاط بكل شئ علماء ومحال أن تحيا إلا إذا كان وراءها مدبر قدير، وعناية إله خبير، لذا أسند محمد رسالته إلى خالق كل شئ، عليم بكل شئ، لا إلى شخصيته وعقله وعبقريته، وأعلن لمن كان ويكون أنه بشر يخضع لما تخضع له الناس، ويفعل كما يفعلون، وأنه لا يملك لنفسه نفا ولا ضرا، سوى أنه رسول يوحى إليه، وأنه لا يستطيع الاتصال بالله إلا أن يشاء الله.

الأمر الثاني الذي يدل عليه شمول هذه الرسالة هو أن

محمدا خاتم النبيين والمرسلين، حيث لم يبق لمن بعده شئ يحتاج إلى بيان في جهة لحياتنا هذه، أو للحياة الثانية، أي أن التجربة الدينية للإنسان انتهت بكتاب الله الذي فيه تبيان كل شئ جملة أو تفصيلا وبالشريعة السمحة التي كشفت عن أوامر الله وأحكامه، وسننه في خلقه، وكانت الشريعة الأبدية الخالدة يبلغها السابق اللاحق بدون حاجة إلى رسول جديد.

وإذا كان كل حكم نطق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكل بيان يتصل برسالته وراءه حقيقة عليا أوحت به إليه وجبت - والحال هذه - معرفة تلك الحقيقة، والإيمان بها، والإذعان لها، وقد حدد الله سبحانه على لسان نبيه الطريق إلى معرفته بالتفكير والنظر، وحدد الإيمان به بكلمة التوحيد، وحدد الإذعان له بعبادته وطاعته فيما أمر ونهى. طريق المعرفة:

لقد أراد الله سبحانه أن يعرف بالوسائل البشرية المألوفة، وهي التفكير والنظر في خلق السماوات والأرض، وما فيهما من عجائب وأسرار: " إن في خلق السماوات والأرض لآيات للمؤمنين). " هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق ليفصل الآيات لقوم يعلمون ".

إن الله جل وعلا يضع آياته أمام عبده، ويقول له:

أنظر وتأمل، تماما كما تعرض ما لديك من الأدلة على من جادلك فيما تعتقد وتدين.. ولا شئ أدل على ذلك من هذا التفضل والتلطف في أسلوب هذه الآية الكريمة التي خاطب بها منكري البعث والنشر، قال عز من قائل: " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ".

وإذا لم يفرض الله دينه على الناس فرضا، فكيف ساغ للوهابية أن تقول:

" يجب دعاؤهم إلى التوحيد، فمن أقر سلم، وإلا فهو مباح الدم والمال والذرية ".

(تطهير الإعتقاد ص ٣٥ و ٣٦).

وبعد، فمن هو الضال المبدع في الدين الوهابية الذين أتوا بهذه المحدثات، أو أمة محمد؟. التوحيد

وبين الله على لسان نبيه حقيقة توحيده وتنزيهه عن الأضداد والأشباه والأنداد، بينها في أبسط معنى، وأوضح مبنى يستوي في فهمه العالم والجاهل، والكبير والصغير، وهو كلمة لا إله إلا الله، مع الإيمان بها، أي نطق باللسان، وتصديق بالجنان، وكفى... ولو كانت حقيقة التوحيد غير هذه البساطة التي لا فلسلفة فيها، ولا صناعة، ولا أقيسة لما قبل النبي الإسلام من العجائز ورعاة الإبل في الصحراء، وكان عليه قبل كل شئ أن يهيئ الناس بالعلم والدراسة لتفهم

الإسلام، ثم يعرضه عليهم، أو يأمرهم بالتعلم، حتى يبلغوا درجة الاجتهاد، ويستطيعوا استنباط التوحيد من كلمة لا إله إلا الله، تماما كما هو الحال بالقياس إلى استخراج الأحكام الفرعية الشرعية من أدلتها التفصيلية، مع العلم بأنه لا شئ من ذلك، وهذا دليل قاطع على فساد ما قاله الوهابية من أن كلمة الشهادة لا تنفع، والإيمان بها لا يجدي بدون قيودها الكبار الثقال التي لا يفهمها إلا الخلص.

وبديهة أن الأصول الإسلامية ترتكز على الفطرة النقية الصافية الضرورية التي تشترك في معرفتها البشرية على السواء.. وبهذا يتبين أن كل ما أضافه الوهابية إلى معنى التوحيد، وملأوا به الكتب والطوامير إنما هو بدعة وضلالة، وأن البدع التي نعتوا بها أمة محمد هم بها أولى، وهي بهم ألصق ولايق. العبادة

أما عبادة الله سبحانه فقد حددت على لسان نبيه الأكرم تحديدا يستحيل تفسيره تفسيرا صحيحا بغير الوحي، حيث بلغ من الضبط والدقة مبلغا لا يصل إليه عقل نافذ، ولا فكر ثاقب، ولا مثالي ولا واقعي. وتعال معي، وقف وتأمل وفكر طويلا في هذا الرسم العجيب، فهل تجد له تفسيرا بغير قدرة عظيمة وراء هذا الكون، لا تشبهه في شئ، ولا يشبهها في شئ، فلقد اختطت هذه القدرة لكل عاقل بالغ أن ينهض من فراشه بعد طلوع الفجر، وقبل بزوغ الشمس،

ويغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجله، كل ذلك يأتي به على نحو خاص لا يتعداه أبدا.
ثم يقف بين يدي الله في هذا الوقت المحدد، لا يتقدم عليه، ولا يتأخر عنه ثانية، ويتجه بوجهه، ومقاديم بدنه إلى جهة خاصة لا يحيد عنها قيد أنملة، ويصلي لله ركعتين فقط، يسبحه ويقدسه فيهما بألفاظ معينة لا يتجاوزها إلى غيرها، ويركع بنحو خاص، ويسجد على سبعة أعضاء بشكل خاص، ولا يلتفت يمنة أو يسرة، ولا يزيد حرفا، أو ينقص حرفا، ولا يأتي بأية حركة، أو أي عمل أثناء ذلك، فإذا انتهى من هذه العملية مضى إلى سبيله، حتى إذا زالت الشمس، وبلغت كبد السماء عاد فصلى أربع ركع بنفس الحدود والقيود، وبعدها أربعا مثلها، ثم يمضي حيث يشاء إلى أن يدركه الغروب، فيصلي ثلاث ركع لا غير، وبعدها أربعا، وبها يتم ما وجب عليه في يومه وليلته، يفعل ذلك كل يوم وليلة بدون استثناء لا في يوم واحد من كل أسبوع، كالجمعة أو السبت أو الأحد.
وإن دلت على شئ هذه الدقة في التصميم والرسم فإنما تدل على أن من صميم ورسم هو فوق العقول مجتمعة، فوق كل شئ، هو الكمال النهائي في كل وصف.. ومن يدري أن لهذه الصورة الخاصة من العبادة تأثيرا في البقاء والاستمرار على التوحيد، وفي النهي عن الفحشاء والمنكر.
وأيضا يجب على البالغ العاقل أن يصوم لله من كل سنة شهرا قمريا

معينا كاملا، لا ينقص منه يوما، ولا يزيد فيه، فيمسك عن الطعام والشراب والنساء من مطلع الفجر إلى الليل، لا يتقدم دقيقة أو يتأخر بنية الإمساك، ولا يبدل شهرا بشهر، مهما كانت الظروف، أما الحكمة في كون الشهر قمريا فلأجل أن يمر الصيام على الإنسان في جميع فصول السنة، لا في فصل دون فصل، فإذا انتهى شهر الصيام وجب أن ينفق في سبيل الله مبلغا رمزيا من المال، إن ملك مؤونة سنته.

وأيضا على المستطيع أن يحج إلى حرم الله في العمر مرة على أن يلبس لباسا خاصا، ويطوف حول البيت بشكل خاص، ويسعى بصورة خاصة، وينام في أماكن معينة في وقت معين، ويترك الطيب والنساء والصيد، وما إلى ذاك.

وأيضا على الزارع أن يزكي الناتج في كل سنة إذا بلغ نصابا معينا، وعلى العامل والتاجر أن يخرج خمس ما يزيد عن مؤونة سنته.

ومن هذا الإيجاز يتبين أن العبادة على أنواع: منها أفعال يجب أن تتكرر في اليوم خمس مرات، وهي الصلاة، ومنها تروك تجب في شهر معين من كل سنة، وهي الصوم، ومنها أفعال وتروك تجب في العمر مرة، وهي الحج، ومنها أموال تنفق في وجوه البر والخير.. هذي هي العبادة التي جاءت على لسان محمد بحقيقتها وأجزائها، وحدودها وقيودها، لا يجوز فيها التبديل والتعديل، ولا التقليم والتطعيم، فمن أداها كان مطيعا لله، ممثلا ما أمر به على لسان نبيه الأكرم صلى الله عليه

وآله وسلم.
ولا يرتبط فسادها بزيارة قبر أو تعميره، ولا صحتها بترك ذلك، ولا بعدم الاستغاثة، وطلب الشفاعة من الأنبياء، ولا بشئ مما ذكره الوهابيون، سواء أكانت زيارة القبور وما إليها محرمة أو مباحة، ومن أناط صحة العبادة وقبولها بشئ من ذلك أو غير ذلك سوى التوحيد فقد ابتدع، وأتى بما لم ينزل الله به سلطانا، ولا بيانا..
والغريب في أمر الوهابية أنهم يربطون بين صحة العبادة، وبين هجر القبور، وكذلك يربطون بين هجرها وبين التوحيد، أما قتل النفس المحترمة فلا ينافي مع التوحيد، ولا مع صحة العبادة، قال بضع الشعراء:
قتل امرئ في غابة * جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن * مسألة فيها نظر
ولكن الجريمة التي لا تغتفر في نظر الوهابيين ليست في قتل امرئ أو شعب، بل في زيارة قبور الأنبياء والأولياء، وقول المسلم يا محمد اشفع لي عند ربك..
فاتقوا الله أيها الوهابيون في دين الله، وفي شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تشوهوا جمالها بتعصبكم، ولا تقفوا حائلا بين نورها، وبين الأجيال بعقولكم، ولا تحرموا ما أحل الله من عناياتكم، وتربطوا بعض أحكامه ببعض من تلقائكم، ولا تكفروا من وجد ويوجد من أمة محمد غيركم، فإن الإيمان منه القوي،

ومنه الضعيف، ومنه ما بين ذلك، ولا يذهب كله بذهاب مرتبة منه: " ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ".
ومرة ثانية أكرر القول: أن مبادئ الإسلام صافية كلها، فطرية كلها، فلندعها تسير في طريقها لتنتشر في أرض الله الواسعة، ولا نقف حجرة عثرة في سبيلها، ولنكن لها فخارا وزينا، لا عيبا وشينا. اقتراح
اقترح أن ينتدب الوهابيون أعلم علمائهم، وأقواهم على الدفاع عن عقيدتهم، والهجوم على غيرها، ثم يجتمعوا مع علماء من المسلمين، وتطرح كل فئة ما لديها من الحجج والبراهين، وتناقشها الأخرى نقاشا علميا هادئا على أساس الكتاب والسنة الثابتة، ومنطق العقل، ويحكم بين الطرفين من يثق به الجميع، هذا مع العلم بأن أدلة العقيدة، ومصادر الأصول معروفة بشكل عام، والاختلاف إنما هو الفهم، والاستخراج من الأصل، وعليه فلا مانع أبدا من أن يكون الحكم أجنبيا، ما دام يملك أدوات المعرفة بأصول العقيدة، والفهم السليم لها، ويتجلى بالإنصاف، وعدم الانحراف، ومن كانت له الحجة على غيره فهو المسلم المؤمن حقا، ومن كانت عليه فهو الضال المبدع.

محمد عبد الوهاب
محمد عبد الوهاب هو صاحب الدعوة الوهابية، وإليه ينتسب المذهب الوهابي..
ولد في العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري بمدينة تسمى " العينية " بنجد، وكان أبوه قاضيا فيها، وأميرها يومذاك عبد الله بن معمر.
درس محمد على أبيه مبادئ العلوم الدينية، وطرفا من الفقه، ثم رحل إلى الحجاز، ومكث أشهرا، وأثناء إقامته في المدينة المنورة حضر على بعض شيوخها، ثم عاد إلى نجد، وما استقر فيها، حتى استأنف الرحلة إلى البصرة، وحين أظهر آراءه لأهلها أنكروا عليه، وطردوه، فخرج منها هاربا، وعاد إلى أبيه بنجد، وكان أبوه قد ترك العينية إلى بلدة " حريملة " وبقي الوالد فيها إلى أن وافته المنون سنة ١١٤٣ ه.
وعن تاريخ الآلوسي أن الأب لم يكن راضيا عن ابنه، وأنه زجره ونهاه، وبعد أن مات أبوه تجرأ عليه أهل حريملة، وهموا بقتله، فلم يجد بدا من الهرب إلى العينية، وهي مسقط رأسه، ودار نشأته، وقد تعاهد هو وأميرها عثمان بن معمر على أن يشد كل منهما أزر الآخر، فيترك الأمير للشيخ الحرية

في إظهار الدعوى، والعمل على نشرها، لقاء أن يقوم الشيخ بدوره بشتى الوسائل لسيطرة الأمير على نجد بكاملها، وكانت يومذاك موزعة إلى ست أو سبع إمارات، منها إمارة العينية.

ولكي تقوى الروابط بين الاثنين زوج الأمير أخته جوهرة من الشيخ، فقال له الشيخ: " أني لآمل أن يهبك الله نجدا وعربانها ". (١)

وهكذا يؤمن محمد عبد الله بأن الله يهب الأحرار، وما يملكون لمن يناصره في دعوته، ويجعلهم عبيدا له من دون الله هذا، وهو يدعو إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك.. أما نحن الشيعة، أما نحن المشركين في نظر محمد عبد الوهاب وأتباعه فإنا ندين ونعتقد بأن الناس كلهم أحرار، وأن الله لم يجعل لإنسان سبيلا على مثله، وأنه سبحانه يهب الهداية والعقل والصحة والخير، أما الشر والظلم والتحكم بالأرواح والأموال فهو من الشيطان لا من الرحمن في عقيدتنا.. أن عندنا من العلم بعدل الله وإحسانه ما ينزهه عما يقول ويفعل الظالمون.

وهكذا بدأ التحالف بين الشيخ والأمير، واحدة بواحدة.. مساومة، ثم أخذ وعطاء، والثمن هو الدين والشعب، أما زواج الشيخ من جوهرة فتثبيت للتحالف، وضمان للوفاء.. لقد سخر محمد عبد الوهاب الدين لرجل الدنيا، وتطوع لتعزيز

حكمه، دون أن يكون على يقين من عدله، أو يأخذ منه موثقا لتحسين الأوضاع، وراحة الناس، والعمل للصالح العام.. بل على العكس فقد وعده بملك نجد وعربانها.. ولكن لا بالاقتراع وحرية تقرير المصير، بل بالحرب والغزو، وبأشلاء الضحايا.. ومع ذلك فإن محمد عبد الوهاب هو المجدد المصلح، وصاحب رسالة إنسانية..

ومهما يكن، فإن التحالف بين الاثنين لم يطل عمره، ولم يتم أمره، وما تمخض إلا عن زواج الشيخ بجوهرة، وهدم قبر زيد بن الخطاب، وإثارة الفتن والقلائل من جراء دعوة ابن عبد الوهاب التي زجره عنها أبوه، وحاول – من أجلها – أهل البصرة وحريملة أن يقتلوه، لم يطل عمر التحالف بين الشيخ والأمير ابن معمر، لأن سليمان الحميدي صاحب الأحساء والقطيف أمر عثمان بن معمر – وكان أقوى منه – أن يقتل الشيخ، قال فيليبي في تاريخ نجد ص ٣٨:

" قرر عثمان أن يتخلص من ضيفه، فطلب من أن يختار المكان الذي يريد الذهاب إليه، فاختار الدرعية، فأرسل عثمان معه رجلا اسمه فريد، وكلفه أن يقتل الشيخ في الطريق. ولكن فريدا خذلته إرادته، وترك الشيخ، وقفل راجعا دون أن يمسه بسوء ".

وصل الشيخ إلى الدرعية سنة ١١٦٠ ه، وكان أميرها آنذاك محمد بن سعود، جد السعوديين، وتم الاتفاق بين الشيخ والأمير على غرار ما كان قد تم بينه وبين أمير العينية،

فقد وهب الشيخ نجدا وعربانها لابن سعود. كما وهبهما من قبل لابن معمر، ووعده " أن تكثر الغنائم عليه والأسلاب الحربية التي تفوق ما يتقاضاه من الضرائب " (١) على أن يدع الأمير الشيخ، ما يشاء من وضع الخطط لتنفيذ دعوته، وتقول الرواة: أن الأمير السعودي بايع محمد عبد الوهاب على القتال في سبيل الله.. ومعلوم أنهما لم يفتحا بلدا غير مسلم في الشرق، أو في الغرب، وإنما كانا يغزوان ويحاربان المسلمين الذين لم يدخلوا في طاعة ابن سعود، وهذا الاتفاق، أو هذه المساومة، وما سبقتها مع ابن معمر تلقي الضوء الكاشف على دعوة ابن عبد الوهاب، وأقل شئ تتكشف عنه أنها لا تهتم بمصائر الناس، ولا بحل أية مشكلة من مشكلاتهم، كما هو شأن الدعوات والرسالات الصالحة.

وبعد أن شعر محمد عبد الوهاب بقوته عن طريق هذا التحالف، وأن الإمارة السعودية أصبحت تناصره وتؤازره، بعد هذا الشعور جمع الشيخ أنصاره وأتباعه، وحثهم على الجهاد، وكتب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته، وتدخل في طاعته، وكان يؤخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض، ومن أبى غزاه بأنصاره، وقتل الأنفس، ونهب الأموال، وسبي الذراري.. أدخل في الوهابية وإلا فالقتل لك، والترمل لنسائك، واليتم لأطفالك.. هذي هي

---

(١) فيلبي: ٣٩.

الشريعة السمحة، والتعاليم الغراء، والنية الخيرية، والخلق الكريم.. وهذا هو النظام العادل الصالح الحكيم.. هذا هو بالذات مبدأ عبد الوهاب. الذي لا يتنازل عنه لأية مصلحة، ومن أجله تحالف مع ابن معمر في العينية، ثم مع ابن سعود في الدرعية، وكان على أتم استعداد أن يتحالف مع أية قوة يستعين بها على ذلك.

ولكنه لم يجد مناصرا أفضل من ابن سعود بعد أن تأكد هذا الأمير أن انتصار دعوة الشيخ هو انتصار له بالذات، " وأن الغنائم والأسلاب الحربية التي وعده بها الشيخ ستفوق ما يتقاضاه من الضرائب ".. ولم تكن هذه الغنائم والأسلاب إلا البعير، وإلا الشاة التي كانت كل ما يملكه المسلم الآمن في صحراء نجد، والمصدر الأول لحياته وحياة أطفاله وعياله.. كان الشيخ يغزو بأنصاره وأتباعه عربان نجد يسلبونهم مصدر حياتهم، ثم يقفلون إلى الدرعية بعد أن يتركوا وراءهم أشلاء الضحايا، والخرائب والأرامل والأيتام.. ويوزع الشيخ عليهم أربعة أخماس الغنائم والأسلاب من المسلمين الآمنين، ويخص الخمس بالخزينة التي يتصرف بها هو والأمير السعودي، قال عبد الله فيلبي في تاريخ نجد ص ٤١: " وقد أدخل الإمام في عقول طلابه مبادئ فريضة الجهاد المقدس، فوجد الكثيرون منهم في الجهاد أقدس تعاليمه، إذ أنه يتفق مع ما اعتاد عليه العرب – يريد أن العرب قاد اعتادوا على السلب والنهب – كما خصص الشيخ خمس الأسلاب بخزينة المركزية التي كان

الأمير والإمام يتقاضيان منها ما يقوم بأودهما.. وهكذا كان سلطان الشيخ في تصرف شؤون البلاد بعد مرور سنة أو سنتين، لقد أصبح شريكا مؤسسا ".
وقد دان بمبدأ " الوهابية أو السيف " كل وهابي، حتى يومنا هذا، لأنه يحقق له ما اعتاد عليه من السلب والنهب.. ففي سنة ١٣٤٥ ه طلب ١٤ عالما وهابيا من الملك عبد العزيز أن يجبر شيعة الأحساء والقطيف على ترك " الشرك " أي على اعتناق الوهابية، وأن يرتب لهم إماما وهابيا، ومؤذنا وهابيا، وأن يهدم الحسينيات ومسجد حمزة، وأبي رشيد، ومن أبى عن اعتناق الوهابية ينفى من البلاد (١) ومتى نفوا من بلادهم وديارهم تكون جميع أملاكهم للوهابية، تماما كما فعل الصهاينة بعرب فلسطين.
هكذا يهتف ابتاع محمد عبد الوهاب: لا عدل، لا سلم، لا رحمة، لا إنسانية، لا حياة، لا شئ أبدا إلا " الوهابية أو السيف ".. وهذه السنة التي أسنتها يتحمل وزرها محمد عبد الوهاب من يومه إلى يوم القيامة.. لأنها، كما ترى، دعوة تقوم على الحرب والضحايا، وتنطبع بطابع الدم والفوضى.
ومن تلك السنة التي وقع فيها الاتفاق بين الشيخ والأمير السعودي، وهي سنة ١١٥٨ ه، إلى يومنا هذا، والتعاون قائم بين أبنائهما: توزيع مناصب، وتقسيم غنائم، ثم إيغال

---

(١) كشف الارتياب للسيد الأمين نقلا عن جريدة الرأي العام الدمشقية عدد ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ ه.

في البذخ والترف

ولنا أن نتساءل: هل كان محمد عبد الوهاب قائدا من قادة الدين، ورائدا من رواد الشريعة الإسلامية، أو كان رجلا يحب الظهور والسيطرة، وقد اتخذ الوهابية وسيلة إلى ما أحب؟.

والجواب عن هذا السؤال يتوقف على أمرين: الأول أن نعرف خصائص رجل الدين، والعلامات الفارقة بينه وبين غيره، الثاني أن نقرأ بتأمل وتجرد تاريخ محمد عبد الوهاب، ثم نرى: هل تنطبق عليه تلك الخصائص، أولا؟

أما خصائص رجل الدين وعلاماته، أو وظيفته ومهمته فهي أن يعلم أولا وقبل كل شئ إن العقيدة تقوم على الاختيار وقوة الإقناع، لا على الإكراه والسيف (١) وأن يكون مع الكتاب والقلم، ويستفتى فيفتي، وأن يعلم ويعظ ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل من خالف بالتي هي أحسن، وأن يحيي الشعائر الدينية، ويصلح ذات البين، ويقف ضد الحروب والتطاحن والمشاغبات، ويعمل على تصفية القلوب وبث المحبة والإخاء، وأن يكون رحب الصدر لا يلحق الأذى بمخلوق، كائنا من كان، ويجب

---

(١) قد يقال: إن الإسلام أمر بقتل المرتد عنه. قلت: أجل، لأنه نقض العهد الذي قطعه على نفسه بالإسلام: وكل من نقض عهدا بعد أن أبرمه فهو مجرم تماما كالقاتل والسارق، ومن هنا قال الفقهاء: إن الرجل المسلم إذا ارتد عن فطرة يقتل ولا يسقط الحد بالتوبة، كما لا يسقط لو تاب عن الزنا والسرقة.

الخير للناس، كل الناس، حتى الذين يخالفونه في الرأي والعقيدة، ويعمل على إسعادهم، والتضحية في سبيلهم، ويهاجم الشر أينما كان، وأن يكون وديعا ورعا زاهدا، يرضى بما يجد، لا تغلبه عاطفته، وجشعه على دينه، بعيدا كل البعد عن التحزبات، ولا يجمع حوله الهمج الرعاع، ويحرض على الفوضى والغزو باسم الجهاد، ولا يتعاون مع أبناء الدنيا إلا فيما فيه الخير والهداية، وأن يعتقد اعتقادا جازما أن أي سبب من أسباب التفرقة هو طعنة مسمومة في قلب الدين والأمة وبالتالي، لا يتنازل عن شئ من واجباته مهما كان الثمن.

هذا هو رجل العلم والدين.. فهل كان محمد عبد الوهاب كذلك؟. وندع الجواب للتاريخ وحده، قال صاحب خلاصة الكلام: " قوي أمر محمد عبد الوهاب، فخافته البادية ". وبديهة أن صاحب الدين لا يخاف أحد منه، بل هو ملجأ الخائفين، وجاء في الحديث: " شر الناس من تخاف الناس من شره " وفي جغرافية " ملطبرون " ترجمة رفاعة بك: " وقوى ابن عبد الوهاب دعوته عن طريق السيف ". وفي تاريخ ابن بشر: " أمر محمد عبد الوهاب بالجهاد، وحض عليه اتباعه، فامتثلوا، وأول جيش له تألف من سبع ركائب ". ومعلوم أن هذه الركائب غزت بلاد المؤمنين بلاد لا إله إلا الله ومحمد رسول الله.. وفي تاريخ نجد للآلوسي: " كتب ابن عبد الوهاب إلى أهل نجد – وهم مسلمون – فبعضهم

أطاع، وبعضهم لم يحفل به فأمر أهل الدرعية بالقتال فأجابوه (١).
وكان لمحمد عبد الوهاب أخ، اسمه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وكان يشغل منصب القاضي في حريملة، وكان كأبيه ينكر على أخيه محمد آراءه المتطرفة.. وألف كتابا خاصا في الرد عليه، وعلى أتباعه أسماه " الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية " وجدت منه نسخة في مكتبة المقاصد ببيروت، ونقلت عنه بعض الكلام فيما تقدم، ويدل الكتاب على علم صاحبه، وسعة اطلاعه، وأنه قد بذل جهدا كبيرا في الدرس، وأمدا طويلا في البحث، وقد نعت أخاه محمدا في أول كتاب الصواعق بالجهل والضلالة، قال في ص ٤ طبعة ١٣٠٦ ه:
" فإن اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة، ويتبسط في علومهما، ولا يبالي - أي أخوه محمد عبد الوهاب - من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله، وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا، وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، لا والله، ولا عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، الأمة كلها تصيح بلسان واحد،

---

(١) كشف الارتياب للسيد الأمين، وتاريخ الدولة السعودية، لأمين سعيد.

ومع هذا لا يصغي إلى كلمة، بل كلهم كفار، أو جهال، اللهم اهد هذا الضال، ورده إلى الحق ".

ومن ألم بسيرة ابن عبد الوهاب، أو بطرف منها لم يشك في أن أتباعه وأنصاره كانوا يغزون ويشنون الغارات على المسلمين الآمنين بأمره وتحريضه، وأنهم كانوا يفرشون الأرض بالصرعى والقتلى من أبناء نجد الذين لهم على الشيخ حق الجوار من النصرة والحماية والمواساة.. ولم يشك أيضا أن التحالف الوثيق الذي حصل بين الشيخ، وبين ابن سعود كان يهدف أو ما يهدف إلى انتشار النفوذ والسيطرة عن طريق الغزو والغارات، و " الأساليب الحربية ".. وأين هذا من الإسلام، وعلماء الإسلام؟. لقد جاء الإسلام فيما جاء لمحاربة الظلم الذي كان يتمثل بغزو أهل الجاهلية بعضهم بعضا فأحياه ابن عبد الوهاب.

في سنة ١٩٢٠ أفتى علماء النجف والأزهر بالجهاد، وتطوعوا بأنفسهم للحرب، وحملوا السلاح، ولكن ضد الانكليز التي استعمرت مصر والعراق، لا ضد من قال لا إله إلا الله، ولا ضد مسالم كائنا من كان.

والغريب أن من تتبع سيرة محمد عبد الوهاب، وقرأ كلماته لا يجد فيها أثرا لعمارة الأرض، ولا للسلم والرخاء، ولا لسد عوز المعوزين، ولا أية إشارة إلى العدالة الاجتماعية وتحسين الأوضاع والحياة، بل ترك ذلك كله، ولم يلتفت إليه، مع أنه كان يسمع ويرى الناس من حوله يعيشون

في ضنك من العيش، وضيق في الحياة تتقطع عنهم أسباب الرزق إلا من شاة أو بعير، فإذا أجدبت السماء ماتوا جوعا وعريا، لقد تجاهل كل ذلك على رغم ما كان له من النفوذ والسلطان، قال فيلبي في تاريخ نجد: " أن محمد بن سعود وخليفته عبد العزيز لم يقوما بأي مشروع، أو يصدرا أي قرار ذي شأن إلا بموافقة الشيخ وبركته ".

وإذا دل إعراض الشيخ عن التفكير بصلاح الناس في عيشهم وتحسين حياتهم، إذا دل هذا على شئ، فإنما يدل على أحد أمرين، لا ثالث لهما: إما إنه لا يبالي أشقى الناس، أو سعدوا، وإما أنه جاهل بروح الإسلام، وبمقاييس الخير، وأسباب التطور والتقدم.. إن الذين يعرفون مقاصد الإسلام يعلمون علم اليقين أن أقرب الناس إلى الله، وأخلصهم في توحيده وعبادته هو أنفع الناس للناس، أنفعهم في صلاح أحوالهم وتخفيف آلامهم، وأن أبعد الناس عن الله جل وعز هو من يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويسبي الذراري، ويقحم الدين في أهوائه وأغراضه (١).

وقد ربى محمد عبد الوهاب أتباعه على مبدأ عدم التفكير بشئ يتصل بخير الناس ومنفعتهم، وعدم الاهتمام إلا بالتعصب، والحكم بالشرك على أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

(١) لا أعرف أحدا أضعف وأوضع ممن يزج بالدين في جميع خلافاته، وفي كل هوى من أهوائه ولا أدل على نفاقه وضعته أنه لو ملك القوة لداس على مقدسات الدين والضمير.

وبعد، فعلينا أن نفهم ونميز بين أهل الدين حقا، وبين الذين ينتحلونه لمآرب أخرى.. علينا أن لا نتهم أحدا، ولا نثق بأحد إلا بعد أن نتعرف على سيرته من أوثق المصادر وأصحها.. علينا أن نقف موقف الشك والريبة من كل دين وعقيدة، ومن كل من ينعته الناس بالإمام المصلح، أو المفسد المضلل، حتى يظهر الحق جليا، ولن يظهر إلا بالبحث والتمحيص، ومن درس حياة محمد عبد الوهاب يرى أول ما يرى أنه يفرض آراءه بالقوة، ولكن على المسلمين خاصة دون غيرهم.. وكل الناس يعلمون أن أية عقيدة، أو رأي يحاول صاحبه أن يفرضه بالقوة فإنه يحكم على نفسه بنفسه بالفساد والبطلان.

مات محمد عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ ه، وسار أبناؤه على سيرته يناصرون أبناء سعود، ويناصرهم أبناء سعود، ويسندون إليهم نفس المناصب التي كان ابن سعود يسندها لأبيهم، وزيادة بحكم تطور الزمن.

واختم هذا الفصل بسؤال تذكرته الآن، وهذا هو: يقول الوهابيون: أنهم أدركا ووعوا معنى لا إله إلا الله.. وبديهة أن أول ما تدل عليه هذه الكلمة أنه ليس لأحد كائنا من كان أن يتحكم بغيره، أو يفرض عليه ما لا يتجاوب مع قلبه وعقله.. إذن، كيف جمع الوهابيون بين الإيمان بلا إله إلا الله، وبين مبدأهم القائل: " الوهابية أو السيف "؟.. وكيف جمعوا بين هذا المبدأ، وبين الادعاء بأنهم يجرون

وراء الخبر، ويريدونه للناس، تماما كما يريدونه لأنفسهم، مع العلم بأن هذا المبدأ أساس البغضاء والشحناء، والفوضى والفتن والحروب وكل أنواع الفساد..
بقيت أسئلة تركتها رغبة في الاختصار.. وما انتهيت من فصل، واردت الشروع بما يليه إلا تواردت على خاطري تساؤلا...، دون أن أبحث عنها، وأفكر فيها، وقد أدونها كلها، بعضا دون بعض، وقد أتركها كلية..
والآن ورد على خاطري سؤال آخر: لقد حصلت حروب بين المسلمين الذين كانوا يزورون القبور، ويقولون: يا محمد اشفع لنا عند ربك، وبين غيرهم كالصليبيين ومن قبلهم وبعدهم، فهل كانت تلك الحروب قتالا بين الكفار بعضهم ببعض، أو كانت بين المسلمين، وبين غيرهم.. وعلى الأول لا ينبغي أن تعد الحروب الصليبية وما إليها من تاريخ المسلمين، بل تعد الغزوات والغارات التي شنها الوهابية على من آمن بالله وبمحمد واليوم الآخر، وعلى الثاني لم يبق من موضوع لدعوة محمد عبد الوهاب، أو للكثير من كلامه ومؤلفاته

آل سعود
كان في القرن الخامس عشر رجل من عنيزة يسكن في الأحساء، اسمه مانع، وله ابن عم يقيم بقرية بنجد، اسمها منفوحة، واسم هذا النجدي درع، وهو زعيم عشيرة الدروع هناك، وكان موسرا ذا ممتلكات واسعة، وفي إحدى السنين زار مانع الأحسائي قريبه درعا النجدي، فأعطى هذا قطعتين كبيرتين من أرضه لضيفه، فانتقل مانع بأهله إلى نجد يستغل عطية قريبه درع. ومانع هذا هو الجد الأول لآل سعود.
وورث الأرض من مانع ولده ربيعة، وأضاف إليها أرضا جديدة انتزعها من المجاورين، ومات ربيعة، وورثه ولده موسى، وأضاف ملكا إلى ملك أبيه بالغزو والغارات، ودانت له المنطقة، وصارت له إمارة صغيرة ومات موسى، فخلفه ولده إبراهيم، ومن بعده ولده فرحات، ورزق فرحات ولدين ربيعة ومقرنا، ورزق مقرن محمدا، ورزق محمد سعودا، رأس الأسرة السعودية، وقد استولى سعود على الدرعية انتزعها من آل معمر، قال فيليبي: وهكذا لم

ينقض جيلان، حتى غدا النازحون الغرباء سادة المنطقة التي آوتهم.. وبقيت الدرعية عاصمة الإمارة السعودية إلى عهد تركي الذي يأتي الكلام عنه، فانتقلت من الدرعية إلى الرياض، ولم تزل، حتى اليوم، ومات سعود سنة ١١٤٤ ه فخلفه ولده محمد الذي نشأت الوهابية في عهده، فاعتنقها وآزرها، وما زال السعوديون عليها، حتى اليوم، وإلى آخر يوم، وفيما يلي نتكلم بإيجاز عن كل أمير من الأمراء السعوديين الوهابيين الذين جعلوا من الوهابية عقيدة متبعة، وكان لهم الفضل الأكبر عليها، ولولاهم لم تكن شيئا مذكورا، نتكلم بإيجاز عن هؤلاء الأمراء منذ الأمير الأول، حتى الملك عبد العزيز والد الملك الحالي سعود. محمد بن سعود تولى محمد بن سعود إمارة الدرعية سنة ١١٥٨ ه إلى سنة ١١٧٨، وهو صاحب محمد بن عبد الوهاب وساعده الأيمن الذي تكلمنا عنه في فصل سابق، وأول حاكم وهابي وكانت نجد في عهد محمد بن سعود موزعة إلى ست أو سبع إمارات رغم أن عددها لم يتجاوز في ذاك الحين نصف مليون.. من تلك الأمارات إمارة الدرعية، وفيها محمد المذكور، ومنها امرأة ابن دواس بالرياض، وإمارة آل معمر بالعينية، وإمارة آل هزال بنجران، وإمارة آل علي بالشمال، وإمارة آل جحيلان بالقصيم.

أما النظام الذي كانت تتبعه هذه الإمارات فهو أشبه بالنظام القبلي، يتمشى مع أهواء الأمراء والأقوياء.. ويظهر أن المواطنين لم يتأففوا منه، لأنهم قد اعتادوا عليه وآباءهم من قبل، حتى حسبوه أمرا طبيعيا.

ودارت بين محمد بن سعود أمير الدرعية، وبين ابن دواس حروب وغزوات انتهت بالصلح بينهما. عبد العزيز بن محمد

اختار محمد بن سعود ولده عبد العزيز وليا للعهد من بعده باقتراح محمد عبد الوهاب، فكان أول أمير يبايع بولاية العهد من السعوديين، ومنذ ذلك العهد أصبحت الإمارة تنتقل بالمبايعة بولاية العهد تماما كما فعل معاوية مع ولده يزيد، وهذه من حسنات الشيخ محمد عبد الوهاب، ومن غريب الصدف أن سيرة عبد العزيز تشبه سيرة يزيد بن معاوية من وجوه:

أولا: أن كلا منهما عاش في كنف أبيه الأمير بالعز والدلال.

ثانيا: نشأ كل منهما جاهلا لا يزينه علم ولا خلق ولا ثقافة.

ثالثا: ما عرفا به من القسوة والغلظة، والبعد عن الرحمة والرأفة.

رابعا: الحكم عن طريق المبايعة بولاية العهد بمعاونة

الحواشي والهوامش، لا عن طريق الشورى والاختيار.
خامسا: ما وقع في عهدهما من القلاقل والفتن والحروب.
سادسا: غزا يزيد المدينة المنورة، وأباح منها ما ذكره المؤرخون لوقعة الحرة، وغزا مكة المكرمة، وضرب الكعبة بالمنجنيق.
وألف عبد العزيز السعودي الوهابي جيشا بقيادة ولده سعود، وغزا مكة، وهدم قبة مولد النبي، ومولد أبي بكر، وقبة السيدة خديجة، وقبة زمزم، والقباب التي حول الكعبة، وذلك سنة ١٢١٨ ه.
وفي سنة ١٢٢١ غزا المدينة، وهدم قبور أئمة البقيع وغيرها، وعن تاريخ الجبرتي: " لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة أخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية
وجواهرها، حتى أنهم ملأوا أربع سحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر، ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد، ونحو مئة سيف ملبسة قراباتها بالذهب الخالص، وعليها ياقوت، ونصابها من الزمرد ". (كشف الارتياب للسيد الأمين).
سابعا: قتل يزيد سيد الشهداء، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن أمير المؤمنين علي، وذبح أطفاله، وسبي نساءه في كربلاء.. وكذلك غزا عبد العزيز كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود، وهدم قبر الحسين، ونهب جميع ما فيه من الذخائر، وأعمل السيف بالكربلائيين رجالهم ونساءهم وأطفالهم

وكان ذلك سنة ١٢١٦ ه.
ثامنا: أن فعلة يزيد وجيشه في كربلاء هزت العالم، ونقم جميع المسلمين على يزيد بخاصة، والأمويين بعامة، وهذا ما حصل بالذات حين فعل جيش عبد العزيز ما فعل في كربلاء، قال فيليبي في تاريخ نجد ص ٩٩:
" اقتحم سعود بجيش أبيه كربلاء، وبعد حصار قصير أعمل السيف في رقاب أهلها، ونهبهم، لقد قتل السكان بلا رحمة في الشوارع والبيوت، ودمر ضريح الحسين، ونهب المجوهرات التي كانت تغطي الضريح، وجمع كل شئ ذا قيمة في المدينة.. والحق يقال: أن عمله هذا هز العالم كله فضلا عن الشيعة، فقد كان نقطة انطلاق ركينة للانقلاب على الوهابيين، كما أدى فيما بعد إلى عواقب وخيمة على هذه الدولة ". (١)
أرأيت إلى هذا الشبه القوي بين يزيد بن معاوية من جهة، وبين عبد العزيز وولده سعود من جهة ثانية، وإلى هذا الكره العميق في قلب كل مسلم، لكل من يمس بسوء آثار الرسول وآله الكرام؟.. وبالتالي هل يتفق هذا النوع من القتل والنهب

---

(١) عبد الله فيليبي هذا، اسمه الحقيقي " سنت جون فيلبي " وهو إنكليزي أسلم، وأقام أمدا طويلا في الأراضي السعودية، وكان من الأصدقاء على حكامها، ثم غضبوا عليه، ومنعوا كتابه هذا تاريخ نجد... ومن أسباب المنع تسجيله هذه الحقيقة التي تدين السعودية والوهابية وتدمغهم بالعار...

والسلب مع الإسلام وروح الإسلام الذي يدعيه الوهابية أو أنهم يعلنون شيئا، ويعتقدون ويفعلون شيئا آخر؟.

هذه هي أيام عبد العزيز كلها حروب وفتن وتدمير وتخريب وضحايا ونهب وسلب وهتك للمقدسات الدينية، وغارات متصلة ليل نهار على الفقراء المستضعفين، والعراة والجائعين، وعن هذا الطريق انتزع الرياض من ابن دواس، وسائر إمارات نجد من حكامها، حتى أخضعها جميعا لسلطانه، وضم إليها عسيرا والحجاز والقطيب.

وقتل عبد العزيز سنة ١٢١٨ اغتاله رجل من الشيعة انتقاما منه لما فعله بضريح الحسين في كربلاء، قال فيليبي: لقد تنكر القاتل بزي درويش، وذهب إلى الدرعية، وبقي فيها أياما يصلي خلف عبد العزيز، وفي ذات يوم ألقى بنفسه على عبد العزيز، وهو يصلي، وطعنه بمدية في ظهره اخترقت إلى بطنه، وعجلت به إلى مقره الأخير.. وتكاثر الناس على القاتل، وقتلوه.

وبعد هذا الحادث جرت عادة آل السعود على أن يقف حارسان على رأس الأمير، وهو يؤدي الصلاة خوفا من الاغتيال.. ولكن الحاكم العادل العامل بكتاب الله، وسنة نبيه يصلي، ويتجول، ويرتاد أي مكان بدون حارس، لأن العدالة تحرسه، والدين يحفظه، تماما كما كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الهداة الأخيار.

سعود بن عبد العزيز
وحل سعود محل أبيه عبد العزيز، وأول عمل قام به غزو بلدة الزبير والبصرة من أرض العراق، وأعمل فيهما القتل والسلب، وهدم قبر طلحة والزبير، وذلك سنة ١٢١٨، وغزا نجران سنة ١٢٢٠، والشام سنة ٢٥، ودوخ حوران قتلا وسلبا، ووصل، أو كاد إلى أبواب دمشق.
وسنة ١٢٢٦ أرسل محمد علي باشا ولده طوسون لتحرير الحجاز من الوهابيين، فصدوه في الكرة الأولى، وتغلب عليهم في الثانية، واستولى على مكة والمدينة، وحاول أن يفتح نجدا، فلم يفلح، وسنة ١٢٢٨ ه حج محمد علي باشا، وعزل الشريف غالبا، وأرسله منفيا إلى سلانيك، وعين مكانه الشريف محمد بن عون، فانتقلت الإمارة من فرع إلى فرع آخر من أسرة الأشراف، ومحمد بن عون هو جد الشريف حسين أبي فيصل ملك العراق، وعبد الله ملك الأردن.
وتجدر الإشارة إلى أن سعود هذا هو أول أمير أقام هيئة للأمر بالمعروف، ومهمتها التجوال في الأسواق أوقات الصلاة. تحض الناس على أدائها، وما زالت هذه الطريقة متبعة إلى اليوم عند السعوديين، وتطورت بمرور الأيام، حيث اتسع اختصاصها، وأصبحت تحمل العصي، وتجول في الأسواق والشوارع تنهال ضربا بها على حليق الذقن، أو من يلمس قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو قبر أمام من أئمة البقيع، وغير ذلك مما يخالف عقيدة الوهابية، بل كانوا إلى الأمس

القريب يضربون المدخنين علنا، وإن كانوا غرباء عن الديار – كما قيل ودامت إمارة سعود من سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٢٩. عبد الله بن سعود

وتولى بعد سعود ولده عبد الله، فنازعه الإمارة عمه عبد العزيز، وانقسمت الأسرة على نفسها، وتفرقت كلمتها.

وسنة ١٢٣١ ه جهز محمد علي باشا جيشا بقيادة ولده إبراهيم فتوجه إبراهيم إلى الحجاز، وكانت لم تزل مع أبيه، ثم سار منها إلى نجد، يتوغل فيها شيئا فشيئا إلى أن وصل سنة ١٢٣٣ إلى الدرعية عاصمة الوهابيين، وبعد حصار دام ٥ أشهر استسلم أميرها عبد الله بن سعود، فأرسله إبراهيم إلى الآستانة، حيث قتل ومن معه في ميدان أياصوفيا.

وطغى إبراهيم باشا وبغى في البلاد، وأكثر فيها الفساد، وصادر أموال آل سعود، وآل محمد عبد الوهاب، وأجلى الكثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم عن الديار، ونفى الكثير منهم إلى مصر، وكان هذا جزاء وفاقا لما فعلوه من قبل بأمة محمد من المظالم والمآثم، وما ارتكبوه من الخيانة لله وكتابه، وللنبي وسنته.. وهكذا كل ظالم لا بد أن يبتلى بأظلم وأغشم.

استمر حكم عبد الله بن سعود من سنة ١٢٢٩ إلى سنة ١٢٣٤. تركي بن عبد الله

كان لعبد الله بن سعود المتقدم ذكره ابن عم، اسمه تركي

بن عبد الله بن محمد بن سعود، ومحمد هذا الذي هو الجد القريب لتركي هو صاحب محمد عبد الوهاب، وأول أمير سعودي وهابي.
وكان تركي قد فر من وجه إبراهيم باشا تاركا الدرعية تحت جنح الظلام، وراح يتنقل في صحراء نجد داعيا العربان إلى إحياء مجد الأسلاف، وتزوج أثناء تجواله بامرأة من آل تأمر، ولدت له ذكرا، أسماه " جلوي " لأنه ولد في زمن الجلاء، فتجمع حول تركي أول ما تجمع ثلاثون رجلا، ثم انضمت إليه بعض القبائل، فاسترد الرياض سنة ١٢٣٥ من باشا مصر، واتخذها عاصمة له، ومن يومه انتقلت عاصمة السعوديين من الدرعية إلى الرياض، وما زالت، وكان لتركي ولد، اسمه فيصل، نفاه إبراهيم باشا مع من نفي إلى مصر، ولما سمع بخبر أبيه هرب، وجاء إليه.
ومما قدمنا يتبين أن الإمارة السعودية الوهابية ابتدأت بمحمد بن سعود صاحب محمد عبد الوهاب، ثم ولده عبد العزيز ثم ولده سعود، ثم ولده عبد الله الذي انتزع منه الإمارة إبراهيم باشا، وقتل في الآستانة.
وكان انتصار إبراهيم على السعوديين سببا لانتقال الإمارة من فرع عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى فرع عبد الله بن محمد بن سعود الأمير الوهابي الأول عن طريق عبد الله بن محمد بن سعود، وعبد الله هذا الذي هو أبو تركي لم يتول الإمارة، وإنما تولاها أخوه عبد العزيز الأمير السعودي الوهابي الثاني، فتركي - إذن - هو الأمير السعودي الوهابي

الأول من الفرع الثاني لمحمد بن سعود، وبه انتقلت الإمارة من سلالة عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد بن سعود، وما زالت فيها حتى اليوم.

وكبر على نسل عبد العزيز أن تخرج الإمارة منهم، فدبر أحد السعوديين، واسمه مشاري، أمر اغتيال تركي، وتم له ذلك، ونادى مشاري بنفسه أميرا، ولم تطل أيامه، حتى قتله فيصل بن تركي المغدور، واسترجع إمارة أبيه.

واستمر حكم تركي الذي أعاد النفوذ إلى أسرته، استمر من سنة ١٢٣٥ إلى سنة ١٢٤٩. فيصل بن تركي:

تولى فيصل بن تركي الحكم بعد أبيه، ولكن محمد علي باشا لم يمهله طويلا، فأرسل حملة كبرى إلى نجد، ومعها خالد بن سعود الذي كان مع السعوديين المنفيين بمصر، فدخل جيش محمد علي نجدا، واستولى على العاصمة بلا مقاوم بعد أن فر منها فيصل، فأقام المصريون فيها خالد بن سعود حاكما مكان فيصل، وذلك سنة ١٢٥٣ ه. وكانت الحجاز لم تزل بيد محمد علي.

وسنة ١٢٥٤ ظهر فيصل مع رجاله من أتباعه، وحاول طرد المصريين، ولكنه لم يفلح، ولم يجد سبيلا إلا الاستسلام، فاستسلم، ونفي إلى مصر، مع من نفي فيها من السعوديين.

وبعد أن قويت شوكة محمد علي بخضوع الجزيرة العربية

له بما فيها نجد والحجاز وعسير وتهامة استولى على فلسطين ولبنان وسورية، وبلغ أبواب الآستانة، ولكن الحلفاء اضطروه إلى التراجع والانسحاب من البلاد التي احتلها، وتسليمها للأتراك، ما عدا مصرا، حيث منحت له ولسلالته يديرونها إدارة باشوية باسم سلطان الآستانة، وذلك سنة ١٢٥٦ ه.

وفي سنة ١٢٥٩. عاد فيصل من مصر إلى نجد هو والأمراء السعوديون الذين نفوا إليها من قبل، وحلوا ضيوفا في مدينة حائل شمالي نجد على أميرها ابن الرشيد، وكان من قبل تابعا للسعوديين، بل إن فيصلا هو الذي عينه حاكما لحائل قبل الاحتلال المصري مكافأة له على مناصرته للقضاء على فتنة مشاري الذي قتل أباه تركيا (١).

وقد رد له ابن الرشيد هذا الجميل، فاحتفى بفيصل، وقدم له الرجال والمال، ودعا للالتفاف حوله، وأول من استجاب أهل عنزة، وزحف فيصل على الرياض بمعاونة ابن رشيد، وكان فيها أمير يدعى عبد الله بن ثنيان، أقامه المصريون حين جلائهم عنها، فاسترجعها فيصل منه بعد مقاومة، وحصار دام ٢٠ يوما، وأسر ابن ثنيان، ثم عفا عنه.

وما استتب الأمر لفيصل، حتى شرع باسترجاع ما

---

(١) فيليبي ص ١٦٩.

أخذ من السعوديين، فأخضع نجدا وعسيرا والأحساء والقطيف، ودان له بالطاعة أمراء البحرين، ومسقط، وسواحل عمان.

مات فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ ه. عبد الله بن فيصل:

كان لفيصل بن تركي أربعة أولاد: عبد الله، وهو الأكبر، وسعود، ومحمد، وعبد الرحمن، وكان فيصل قد بايع ولده الأكبر عبد الله بولاية العهد طبقا للتقاليد المتبعة في البيت السعودي، ولكن سعودا نازع أخاه عبد الله، وثار عليه، واستعرت الحروب الأهلية بين الطرفين، ونشبت الفتن والقلاقل، واستمرت الحرب بين الأخوين ٢٥ عاما، مما أدى إلى ضعف الدولة، وذهاب سلطانها، وانتقاض حكام المقاطعات عليها، واستقال كل بدويريته، كما هو الشأن في توزيع أسلاب الضعيف، واحتل الأتراك الأحساء، والقطيف.

واستطاع سعود أن ينتزع الرياض من أخيه عبد الله بعد أن فر منها، ونزل في ديار عتبة، ومات سعود في الرياض سنة ١٢٩٠، وتولى بعده أخوه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز الشهير، وجد الملك سعود الحالي، ولكن أبناء أخيه سعود انتفضوا عليه، وطردوه من الرياض، فالتجأ إلى أخيه عبد الله في ديار عتبة، لاجئ إلى لاجئ، واستغل

عبد الله هذا الخلاف، وأسرع إلى الرياض بمعاونة بعض العربان، فجلى عنها أولاد سعود قبل وصوله.
وما استقر فيها، حتى هاجمه محمد بن سعود، ودارت بينهما معارك طاحنة، فاستنجد عبد الله بابن رشيد أمير حائل، وقبل إن تصل النجدة منه تغلب محمد على عمه عبد الله، ودخل الرياض، وسجن عبد الله، ولم يطل الأمد، حتى وصل ابن رشيد، ففر محمد بن سعود، وأخرج ابن رشيد عبد الله من السجن، ولكن لم يرجعه إلى الحكم، بل عهد به إلى أخيه عبد الرحمن الذي كان قد تولى الإمارة بعد أخيه سعود، وقفل ابن رشيد راجعا إلى حائل بعد أن ترك في الرياض مندوبا من قبله يراقب عبد الرحمن، واسم هذا المندوب سالم السبهان، وبهذه الحادثة أصبح ابن رشيد سيد نجد والمسيطر عليها.
ومات عبد الله بن فيصل سنة ١٣٠٧ ه. عبد الرحمن بن فيصل:
هو الذي تولى الإمارة أياما بعد أخيه سعود، وهو الذي طرده ابن أخيه محمد بن سعود، وهو الذي أقام ابن رشيد ثانية وهو أيضا والد الملك عبد العزيز الشهير.
أشرنا إلى أن ابن رشيد أقام مندوبا ورقيبا على عبد الرحمن، وأراد عبد الرحمن أن يتخلص من هذا المندوب الرقيب وهو سالم السبهان، فسجنه، وقيل: إنما سجنه، لأنه

حاول اغتياله بأمر ابن رشيد، ومهما يكن، فقد توجه ابن رشيد إلى الرياض، وأطلق سراح السجين.
ولما رأى عبد الرحمن قوة ابن رشيد بنجد شعر أنه بين أمرين: إما أن يحارب ابن رشيد، وإما أن يخضع له كموظف عنده.. ولا طاقة له على الأولى، ولا تطيعه نفسه على الثانية، فلم يبق أمامه إلا الرحيل.. وهكذا فعل.. رحل عن نجد بأهله سنة ١٣٠٩، وظل متنقلا في الأمصار.. فذهب أولا إلى الأحساء، ثم إلى الكويت، ثم إلى قبائل بني مرة بقرب الربع الخالي، ثم إلى قطر، ومنها عاد إلى الكويت، واستقر فيها مع عائلته وأولاده، وكان عمر ولده عبد العزيز آنذاك عشر سنوات.
وعين له أمير الكويت الشيخ محمد بن الصباح مرتبا إلى أن خصصت له الدولة العثمانية ستين ليرة عثمانية في الشهر، فقطع ابن الصباح عنه المرتب، وعاش هو وأفراد عائلته في شدة وضيق. الملك عبد العزيز أو الأسطورة:
عبد العزيز بن عبد الرحمن أول من لقب بالملك من السعوديين..
كانت الشمس منذ القديم كما نراها اليوم تطلع من الشرق، وتتوارى في المغرب، ولم يصادف في يوم أن أشرقت حيث تغيب، أو غابت حيث تشرق، أما الأحداث

التي تقع بين الشروق والغروب فهي كل يوم، بل كل ساعة في شان.. فور وغور، وصعود ونزول.. لا قاعدة، ولا ضابط، ولا مقياس ينتظم كل شئ، ولا يشذ عنه شئ.. ترى النجاح منك قاب قوسين أو أدنى، وإذا أنت في الأرض، والنجاح في السماوات العلى، وترى نفسك غريقا تتقاذفك الأمواج، وأنك ستلفظ النفس الأخير، وإذا بك على اليابسة تتنفس الصعداء فرحا وسرورا.

وترى هذا يزحف كالسلحفاة، وينطلق ذاك إلى المريخ، وبين طرفه عين وانتباهتها ترى الزاحف في الطليعة، والسابق جماد لا يستطيع الحراك.

ومهما شككت فأني لا أشك أبدا أن الحكمة من ذلك أن لا ييأس الضعيف، فيذل ويخنع للقوي، وأن لا يطغى القوي فيتحكم بالضعفاء، وأن لا يحزن الفاقد، ولا يفرح الواجد، وأن يضع الجميع نصب أعينهم أن الغالب قد يصير مغلوبا، والمغلوب غالبا.. والتاريخ وحده يعطينا الدرس الصحيح، لا النظريات ولا الفلسفات (١).

---

(١) ومن هنا أؤمن إيمانا لا يشوبه ريب بأن إسرائيل ستمحى من الوجود، وإن بلغت من القوة ما بلغت، وآزرها الغرب والشرق، وهل في قول الله ريب: " ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا ألا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة - آل عمران ١٢٢ "؟. ثم كيف تعيش دولة مبدأها وشعارها: " ما دمت فليهلك العالم كله "؟.

وإليك هذا الدرس من التاريخ القريب: لقد استرجع الفتى البالغ من العمر ٢٠ عاما ما كان لآبائه وأجداده، وهذا الفتى هو عبد العزيز اللاجئ وأبوه عبد الرحمن في الكويت، استرجع ملك الآباء والأجداد، ولكن لا بالمال، ولا بالجيوش، ولا بالانتخاب، ولا بتأليف الأحزاب وإعلان الشعارات المغرية، ولا بالإضراب والمظاهرات، ولا بتغيير الزمن بسبب حرب عالمية، ولا بشئ من ذلك، بل بأسطورة، هذا موجها:

كان عبد العزيز وأبوه عبد الرحمن لاجئين عند الشيخ مبارك أمير الكويت، وذات يوم جاء الفتى عبد العزيز إلى الشيخ مبارك، وقال له: أريد أن أنقذ نجدا من ابن رشيد، فهل تساعدني بالمال والعتاد؟.

وسخر الشيخ من الفتى، ولكنه لم يشأ أن يصدمه، فأعطاه مئتي ريال، وثلاثين بندقية، وأربعين جملا، فأخذها ومضى هو وبعض أرحامه وأصحابه، ولا يتجاوز عدد الجمع أربعين رجلا.. وكانوا يسيرون ليلا، ويتوارون نهارا، وإذا احتاجوا إلى الطعام اختطفوا شاة أو بعيرا من هنا وهناك، وظلوا يواصلون السير إلى أن بلغوا الرياض ليلا، وهم أهلها، وأعرف الناس بما فيها، ومن فيها، فتسلقوا الحائط إلى منزل الحاكم الرشيدي عجلان، وطافوا في أنحائه، وبدأوا بالخدم، فألقوا القبض عليهم، وشدوا وثاقهم، واقتحم عبد العزيز ببندقيته حجرة الحاكم، فوجد

زوجة عجلان وأختها، ولم يجد عجلان.
ولما سألهما عنه قالتا: إنه يبيت في الحصن المجاور للبيت، وكان الفجر قد طلع، فأسبغ القوم الوضوء، وصلى بهم عبد العزيز صلاة الصبح جماعة في بيت عجلان، ثم جلسوا في البيت كأنهم أهله وأصحابه.. وما أن طلعت الشمس، حتى فتح باب الحصن، وحاول المهاجمون اقتحامه، واغتيال الحاكم، وإذا به يخرج من الحصن متوجها إلى بيته، فاستقبله عبد العزيز برصاصة أصابته في غير مقتله، ولكن ابن جلوي السعودي أجهز عليه، وأرداه قتيلا، وذبح المهاجمون عددا كبير من حامية الحاكم.
وما شاع خبر هذه المفاجأة في المدينة، حتى استولى عليهم الذهول، وخافوا سوء العاقبة، فسارعوا إلى تقديم الولاء والطاعة.. وذلك في ٣ شوال سنة ١٣١٩ ه. الموافق ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ م. ونقل عبد العزيز والده من الكويت إلى الرياض، واحتفظ الوالد بلقب إمام، والولد برئاسة الحكومة، وقيادة الجيش، وانتقل من نصر إلى نصر، فقتل ابن رشيد واستتب له الأمر بنجد، وأخذ الأحساء والقطيف، والحجاز وعسير، ومات أبوه عبد الرحمن سنة ١٩٢٨، وله من العمر ٧٨ عاما، مات بعد أن رأى ولده ملكا على جميع الأراضي الواقعة الآن تحت سيطرة حفيده سعود بن عبد العزيز.
وكما كان ابن رشيد حليفا مخلصا للأتراك، فقد كان

عبد العزيز حليفا دائما، وصديقا وفيا للانكليز، فكان يذكرها ويشكرها في خطبه وغيرها، وهذا مثال من أقواله بحق الانكليز، جاء في خطبة ألقاها بمكة المكرمة عام ١٣٦٢، قال:

" ولا يفوتني في هذا الموقف أن أتمثل بأنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فاثني على الجهود التي قدمتها الحكومة البريطانية بتقديم بواخر الحجاج، وتسهيل سفرهم، كما اثني على مساعدتها، ومساعدة الحلفاء القيمة، ومتابعتهم تتميم تموين البلاد، وما يحتاجه الأهالي من أسباب المعيشة وغيرها، وكذلك لا بد من الإشارة إلى أن سيرة البريطانيين معنا طيبة من أول الزمن إلى آخره ".

ويعلم الكبير والصغير أن الانكليز والحلفاء، وأية دولة استعمارية يستحيل أن تفعل شيئا بقصد الخير والإنسانية، وإذا فعلت مع بلد من البلدان ما يبدو كذلك فإنما تتخذ منه وسيلة إلى التسرب إلى أسواقه، والسيطرة على مقدراته.. أن الاستعمار ينافق ويتصنع، ليمتص دماء الشعوب..

وغريب أن تخفى هذه الحقيقة على الملك عبد العزيز، وأن يقول، وهو الوهابي الذي يصلي في أول الوقت، حتى في بيت عدوه عجلان.. غريب أن يقرن شكر الله بشكر الانكليز، ويقول: من لم يشكر الناس - أي الانكليز - لم يشكر الله..

هذا، مع العلم بأن الوهابية - كما قدمنا - يقولون بفساد الصلاة وجميع العبادات إن أديت عند قبر

نبي أو ولي، لأنها، والحال هذه، تكون مشوبة بعبادة صاحب القبر، أو تؤدي إليها بزعمهم.. إذن، كيف ربط الملك عبد العزيز شكر الله بشكر الانكليز، بحيث لا يقبل الأول بدون الثاني؟. وبعد أن ضعف الانكليز حل محلهم الأميركيين.

ودام حكم عبد العزيز ٦٤ سنة من سنة ١٣٠٩ إلى سنة ١٢٧٣ ه وتولى الحكم بعده أولاده سعود ثم فيصل فخالد ففهد الملك الحالي.

مصادر هذا الفصل: كشف الارتياب للسيد محسن الأمين، وتاريخ نجد لفيليبي، وتاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد، والإمام العادل ج ١ و ٢ لعبد الحميد الخطيب. وتاريخ الكويت السياسي ج ١ و ٢ و ٣ لحسين خلف الشيخ خزعل.

تبرير لا اعتذار

كل كلمة من صفحات هذا الكتاب إنما كتبتها بنية الدفاع لا الهجوم، وبقصد الوفاء للإسلام، لا بقصد الحرب على الوهابية، كما هو شأني مع كل من افترى وتهجم.. وما أنا ولما اعتقده محمد عبد الوهاب، وغير محمد عبد الوهاب، فإن لكل إنسان عقيدته، وثقافته، وسلوكه في هذه الحياة، وهو وحده المسؤول عما يدين ويفعل، ولا يحق لإنسان أن يتفحص عن نوايا أي إنسان وأقواله وأفعاله، ما دامت لا تعني أحدا سواه، ولا تتصل بغيره من قريب أو بعيد.

وأقسم أني ما أردت من ردودي السابقة واللاحقة أن أحمل معاندا على عقيدة التشيع، بل كتبت، وأنا أعلم أن الذي أرد عليه لن يتخلى عن أخطائه المتزمتة الموروثة، وإنما هدفي الأول والأخير أن أقطع الطريق عليه، وعلى كل من يحاول الدس والافتراء، وأن يعلم أني له بالمرصاد، وأنه لن يجد إلى الهرب والنجاة من سبيل.

ما لي ولمحمد عبد الوهاب، وعقيدته ودعوته، بخاصة بعد أن أقدم على ما قدم؟.

ما شأني وشأنه لولا قوله: " وبسبب الرافضة - يريد الشيعة - حدث الشرك وعبادة القبور.. وأن بعض السلف أخرجهم من الثنتين والسبعين فرقة (١) وقول حفيده عبد الرحمن " والقتل لمن عاند منهم، ولم يتب (٢) ".

بهذا الصورة أبرز الشيعة محمد عبد الوهاب، وأنهم سبب الشرك، وأسوأ من الفرق الهالكة.. وبالقتل حكم عليهم حفيده عبد الرحمن.. وأني على يقين بأن كلا من الجد والحفيد لم يقرأ كتابا واحدا، ولا صفحة من كتاب للشيعة، ولا اجتمع مع عالم منهم أو جاهل، شأنهم في ذلك شأن كل من افترى وتهجم.

ولو أسدل الستار على قول محمد عبد الوهاب، وانطوى مع الأيام لكنا معذورين في تجاهله والتجاوز عن أخطائه..

أما وقد صار عقيدة راسخة، ومثلا أعلى للدين والحقيقة عند الوهابية، وانعكس في نظراتهم وآرائهم في الشيعة، لا لشئ إلا لأنه جاء على لسان محمد عبد الوهاب، وحفيده عبد الرحمن، أما والحال هذه، فإن السكوت والتجاهل ربما يعد اعترافا ضمنيا بأن هذا القول علم لا جهل، وعدل لا تحامل.. وكيف نستسلم للكذب والافتراء، ولا نرد بقوة وعزم، ولدينا القوى التي تصد المهاجمين والمفترين؟..

---

(١) كتاب التوحيد باب ما جاء من التغليظ ص ٥٧ من الرسائل التسع طبعة ١٩٥٧.

(٢) فتح المجيد: ٤٩١ طبعة ١٦٥٧.

وبعد، فإن من يقرأ كتاب التوحيد، أو إنجيل الوهابية على الأصح يراه متخما بالثرثرة بالشرك، وإخراج المسلمين من الدين والإسلام، وهذا طرف من العناوين التي جاءت في هذا الكتاب " من الشرك لبس الخيط والحلقة.. من الشرك النذر لغير الله.. من الشرك الاستعاذة بغير الله.. من الشرك الاستغاثة بغير الله.. " ومن أقواله: " الطيرة شرك.. لعنة زوارات القبور.. لعنة سراجها " (١)..

وبعد، فإذا كان " بسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور " فمن هو السبب يا ترى – لهذا الشرك المتراكم واللعنات المكدسة في كلام محمد عبد الوهاب؟..

حقا أن صاحب كتاب التوحيد يستحق شهادة الدكتوراه في التفكير.

---

(١) لعنة الزوارات والسراج جاءت في كتاب التوحيد المطبوع مع الرسائل التسع ص ٥٩ طبعة ١٩٥٧.